تزكية النفس وتهذيب الروح

السيد جعفر رفيعي

ترجمة: لجنة الهدى

دار الهادي

تزكية النفس
و
تهذيب الروح

السيد جعفر رفيعي

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ترجمة

لجنة الهدى

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت ۰۲۳۴۳۸
تاریخ ثبت

شكر وتقدير

نتوجه بالشكر والتقدير إلى أعضاء اللجنة الذين ساهموا في ترجمة ومراجعة وتصحيح هذا السفر الكريم ، وخاصة السيد حسن الهاشمي . راجين أن يلقى مكانه اللائق لدى القرّاء الأعزاء

والحمد لله رب العالمين

لجنة الهدى

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تمهيد

إنَّ تزكية النفس، والتحلّي بالتقوىٰ، من الامور الضرورية، التي طواها النسيان، وغفل عنها كثير من العلماء، وإنَّ أساس ونواة جميع مآسينا وما يلحق بمجتمعنا من المشاكل مردّه الى عدم الاهتمام بتزكية النفس، ولهذا السبب تلوثت أرواحنا بمرور الزمن بكثير من الرذائل والقذارات، فزال نتيجةً لذلك، حسّ العبودية والتدين، وحب الآخرين، وكثير من الملكات والسجايا الانسانية، ليحل محلها إطاعة الشيطان والعدوانية والتحلل والخيانة.

إن تزكية النفس تعني تطهيرها، نظير تطهير الانسان لجسمهِ.

يقوم الوالدان بأمر تطهير روح الطفل، حتى اذا اتسعت مدركاته علّماه كيف يتولى عملية التطهير هذهِ بنفسه، غير ان كلَّ ما يعلمانه له يقتصر على الجانب المادي والظاهري فقط، فلا يعنيان بروحه الطاهرة واللطيفة اطلاقاً، رغم تأكيد الاسلام على هذا الجانب أيضاً.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**حُسنُ الأدبِ أفضلُ نسب وأشرف سبب**»[1].

وقال عليه السلام: «**وحقُّ الولد على الوالد أن يحسِّن اسمه ويحسِّن أدبه ويعلمه**

---

١). غرر الحكم، ص ٣٧٩.

القرآن»[١].

وكان الامام السجاد عليه السلام يطلب العون من الله سبحانه على تربية أولاده فيقول في دعائه: «**وأعنّي على تربيتهم وتأديبهم وبرّهم**»[٢].

وحينما يكبر الولد ويخرج الى المجتمع يتعرض للمزيد من التلوث؛ لأن غالبية أفراد المجتمع كأوليائهم يسعون للوصول الى المنافع المادية والنفسية بشتى الطرق، وان خالفت الدين والعقل، وبذلك تتكدر روحه اللطيفة، وعندها يبرز الشيطان ـ وهو العامل الرئيسي في انحراف الانسان ـ فيزيّن بعض المعاصي ليسوق الانسان نحو هاوية الخروج عن الانسانية.

الا أن الله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن الانسان، بل تراه يكلمه عن طريق القرآن والروايات أو الالهام أو بواسطة أوليائه ومحبيه، ويدعوه الى سعادة الدارين.

وربما هزت هذهِ الدعوة الالهية بعض الناس وايقظته من سباته وغفلته، الا انه لا يدري ماذا ينبغي فعله أو الى اين يتجه أو بمن يلوذ؟ ولو أنه جدَّ في طلب العون من ربّه لهداه السبيل ولما تخبط في اليأس الذي سيرمي به في هاوية البؤس والشقاء.

انَّ هذا الكتاب يخصّ السالكين الى الله الذين استيقظوا من سُبات غفلتهم، فاخذوا يبحثون عمَّن يهديهم ويساعدهم في سفرهم للوصول الى هدفهم، الا

---

١). نهج البلاغة، ص ١٢٦٤.
٢). الصحيفة السجادية، دعاؤه لولده.

وهو التنعم بطيب الحياة المعنوية والأُنس بالله سبحانه وامام العصر«عج».

يحتوي هذا الكتاب مراحلَ تزكية النفس، المستفادة من الآيات، وروايات أهل البيت عليهم السلام، وتجارب السالكين الى الله الذين زكّوا أنفسهم وطبّقوا جميع حركاتهم وسكناتهم على الموازين الشرعية والعقلية، حتى بلغوا عوالم العليين والمراتب الروحية العليا.

ونأمل أن يسعى الوعاة والمتعطشون بعد قراءة هذا الكتاب الى اصلاح أنفسهم وسائر أفراد المجتمع، بغية إقامة مجتمع صالح يمهد الارضية لظهور آخر سفراء الله الحجة بن الحسن«عج».

وقد راعينا في هذا الكتاب المستوى العام، رجاء ان ينتفع به عامة الناس، ولكن نظراً الى اختلاف الأمزجة والقابليات ونسبة التلوث، نرى ضرورة الاستعانة باستاذ يتكفّل أمر هداية السالك بما يناسب كفاءته وقابليته ليوصله الى مقصدهِ من أقرب الطرق، إن شاء الله تعالى.

مشهد المقدسة

السيد جعفر الرفيعي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تزكية النفس

ان الغاية من بعث جميع الانبياءعليهم السلام الى الناس ثلاثة أمور:

الأول: أن يقرأوا آيات الله للناس، حتى يعرفوهم بربهم.

الثاني: تعليمهم كيفية العبادة.

الثالث: تزكيتهم وتصفيتهم من الرذائل.

وقد جمعت هذه الأمور آيةٌ في سورة الجمعة: **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾**[1].

معنى التزكية:

إن التزكية تعني التطهير، ويمكن تصوّر هذا التطهير في الانسان على نحوين؛ الاول: في الجسم والثاني: في الروح.

وتطهير الجسم على ثلاثة أنحاء:

---

١). الجمعة/٢.

١ ـ التطهر من القذارات الظاهرية، كحلق الشعر وقص الأظافر.

٢ ـ التطهر من النجاسات الظاهرية كالبول والغائط والدم والمني وامثال ذلك.

٣ ـ التطهر مما يعرض على الجسم كالجنابة التي توجب الابتعاد عن رحمة الله، ولكنها ترتفع بالاغتسال.

اما تزكية الروح فتعني تطهير النفس من الرذائل التي تُعدُّ من صفات الشيطان، والتي تكفي كل واحدة منها ـ في حدِّ ذاتها ـ لهلاك الروح، وحرف الانسان عن الصراط المستقيم وابعاده عن رحمة الله والخسران في الدنيا والآخرة.

إنَّ تزكية النفس توجب سعادة الانسان وفلاحه، ولذلك نجد أهم ما يؤكده القرآن الكريم هو «تزكية النفس» والوصول الى الكمالات الروحية، فقد ذكر الله سبحانه تزكية النفس حوالي خمس وعشرين مرة، دعا من خلالها الانسان صراحة اليها فقال مثلاً: **﴿قد أفلح من تزكىٰ﴾**[١]، و**﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾**[٢] و**﴿قد أفلح من زكاها﴾**[٣]، وغيرها.

والقرآن ليس كتاب تهويل ومبالغة، فلا يذكر اموراً مخالفة للواقع، وانما يعكس الحقيقة كما هي، ولذا تراه في سورة الشمس يكرر القسم قبل أن ينتقل الى النفس الانسانية، فيقول تعالىٰ: **﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسّاها﴾**[٤].

---

١). الأعلى/١٤.
٢). الجمعة/٢.
٣). الشمس/٣.
٤). الشمس/١ ـ ١٠.

من الواضح أن الله سبحانه لا يحتاج الى القسم، الا أنه بيَّن حقيقة التزكية وصدّرها بأحد عشر قسماً لبيان أهميتها.

وقد نُقل عن أبي عبدالله عليه السلام في تفسير سورة الشمس ان المراد من **﴿قد أفلح من زكاها﴾** أي طهرها، والمراد من **﴿وقد خاب من دساها﴾** أي دنسها وأغواها.

هذا وان تزكية النفس توجب السعادة في هذه الدنيا أيضاً، ومن هنا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**لو كنا لا نرجو جنّة ولا نخشىٰ ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً، لكان ينبغي لنا ان نطالب بمكارم الاخلاق، فانها مما يدل عمله بسبيل النجاح**»[1].

ولأجل ذلك نجد الدين الاسلامي الحنيف ينظر الى تزكية النفس وبلوغ الكمالات الروحية بوصفها أمراً ضرورياً وحيوياً، لان هذا هو ما أراده الله من الخلق.

ان روح الانسان بمنزلة الارض، تموت اذا لم ينزل عليها ماء الفضائل الرقراق، وقد ورد عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المضمون قوله: «**إن بذوي العقول من الحاجة الى الادب، كما يضمأ الزرع الى المطر**»[2].

التقوىٰ

إنَّ كلمة «التقوىٰ» مشتقة من «وقي» بمعنىٰ الصيانة والحفظ.

---

١). مستدرك الوسائل، ٢/٢٨٣.
٢). غرر الحكم، ١/٢٢٤.

وقد ذكر المرحوم الطريحي في كتاب «مجمع البحرين»: «ان التقوىٰ تعني اجتناب الرذائل وعدم الانسياق وراء هوىٰ النفس».

وقال الراغب الاصفهاني في كتاب «مفردات القرآن»: «التقوىٰ مأخوذة من الوقاية وهي: حفظ الشيء من جميع انواع الضرر، والتقوىٰ تعني حفظ النفس مما يخاف عليها منه».

وخلاصة القول: ان التقوىٰ تعني ايجاد قوة في الروح والقلب، تعمل على صيانة الروح والاخلاق، وتساعد الانسان على عدم الوقوع في المعصية فيما اذا توفرت ظروفها.

فكما ان اللقاح الذي يرزقه الطبيب في جسم الانسان يكسبه مناعة من المكروبات او الفايروسات، وكما ان الدرع أو المظلة أو الثوب يقي الانسان من الضرر، كذلك التقوىٰ، فإنها تقي الانسان من ضرر الرذائل والقذارات، وهذه الملكة لا يمكن للانسان تحصيلها الا بعد تزكيته لنفسه.

وقد أورد القرآن الكريم كلمة التقوىٰ حوالي ٢١٠ مرّات، ودعا من خلالها الانسان الى تزكية نفسه وتهذيبها.

وقد أوصىٰ الامام علي عليه السلام بالتقوىٰ وتزكية النفس؛ لأن الوصول الى السعادة الدنيوية والأخروية ينحصر فيهما فقط، فقال: «**أوصيكم عباد الله بتقوىٰ الله؛ فانها حق الله عليكم، والموجبة على الله حقكم، وان تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها**

على الله»[١].

ولابد لاجل اقامة مجتمع صالح ومسلم بشكل كامل من مبادرة جميع أفراد المجتمع الى تزكية النفس، وفي ذلك يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام: «**فان تقوىٰ الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعتق من كلّ ملكة، ونجاة من كل هلكة، بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتنال الرغائب**»[٢].

وقال عليه السلام أيضاً: «**دواء داء قلوبكم، وشفاء مرض اجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس انفسكم**»[٣].

والشيء الذي يدعو الى السؤال هو أن الامام عليه السلام قال: «**شفاء مرض أجسادكم**» فكيف يمكن لتزكية النفس ان تؤدي الى شفاء الجسم؟ والجواب: اننا اذا طهرنا أنفسنا فستزول كثير من أمراض الجسم الناتجة عن الامراض الروحية، فاذا كان الانسان بريئاً من الجشع والطمع فهو بريء من الاعتداء والطغيان، واذا لم يفرط في شهوته لم يرتكب الاعمال الدنيئة، واذا لم يكن جباناً أو رعديداً لم يبتلِ بالامراض العصبية، بل سيكون عمره اطول وسيتمتع جسمه بسلامة اكثر.

ان الناس غارقون في سبات من الغفلة عميق، ولذلك يجهلون لذة الحقائق المعنوية، وحينما يموتون سيكون ذلك بداية يقظتهم، وسيدركون حينها قيمة النعم التي اضاعوها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الناس نيام اذا ماتوا انتبهوا**»[٤].

---

١). نهج البلاغة، الخطبة ١٩١.
٢). نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٠.
٣). نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٨.
٤). بحار الانوار، ٥٠/١٣٤.

ولذلك ورد عنه ﷺ في روايات اخرىٰ: «**موتوا قبل أن تموتوا**»، أي: أفيقوا من غفلتكم قبل أن يوقظكم ملك الموت.

إن اليقظة هي أول مراحل السلوك الى الله، التي يدرك فيها السالك الهدف من الخلق.

قال علي عليه السلام: «**رحم الله امرءً عرف من اين وإلى أين ولأين**».

فمتىٰ ما أفاق الانسان من غفلته فكّر في تزكية نفسه، وهذا أمر كامن في فطرته، ومالم يسعَ الى اصلاح نفسه لا يمكن لبصيرته ان تتفتح او يحضىٰ بلطف الله ورحمته، قال تعالىٰ: ﴿**إنَّ الله لا يغير ما بقومٍ حتىٰ يغيّروا ما بأنفسهم**﴾[١].

يتصور البعض خطأً أن تزكية النفس تعني القضاء على غرائزها، ووجه الخطأ في ذلك أنه كما يتوقف قوام البدن على كل العناصر المكوِّنة له، كذلك الروح؛ فان الغرائز المودعة فيها لها بالغ الاثر في قوامها وتكاملها، قال تعالىٰ: ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً**﴾[٢]، وقال أيضاً: ﴿**الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خلقه**﴾[٣].

يتضح من مضمون هذهِ الآية وغيرها من الآيات أن كل عنصر في وجود الانسان قد خلق لحكمة، والذي يتعين علينا في تزكية النفس هو توجيه الغرائز بشكل صحيح واخضاعها لسيطرة العقل، حتىٰ لا تتجاوز الحدود المرسومة لها؛

---

١). الرعد/١١.
٢). المؤمنون/١١٥.
٣). السجدة/٧.

لأنَّ الله قد جعل لكل شيءٍ حدًا، ففي الحديث: «**ما من شيءٍ إلا وله حدّ**»[١].

ويعدّ تعديل الغرائز وضبطها مقدمة لوصول الانسان الى درجات الاولياء والصالحين، بل ستكون درجته أفضل من درجات الملائكة، فقد ورد عن الامام عليٍ عليه السلام: «**ان الله خصَّ الملك بالعقل دون الشهوة والغضب، وخصَّ الحيوانات بهما دونه، وشرف الانسان باعطاء الجميع، فإن انقادت شهوته وغضبه لعقله، صار افضل من الملائكة؛ لوصوله الى هذه المرتبة، مع وجود المنازع، والملائكة ليس لهم مزاحم**»[٢].

طرق اليقظة

اذا كانت الروح غارقة في غفلتها، ربما امكن ايقاظها بالطرق التي سنذكرها، دونما اذا كانت جثة هامدة وسط ركام الميول والاهواء النفسية، وكما قال الله تعالى لرسوله الاكرم صلى الله عليه وآله: ﴿**انك لا تُسمع الموتى**﴾[٣]، ولا يمكنك اخراجهم من الظلمات الى النور.

اما الطرق التي يمكن بوساطتها ايقاظ الآخرين فهي كالآتي:

---

١). تحف العقول، ص ٣٦١.
٢). جامع السعادات، ١/٣٤.
٣). النمل/٨٠.

أولاً: القرآن الكريم.

إن تلاوة آيات القرآن، والتدبر في معانيها اكبر صرخة لايقاظ الانسان من غفلته؛ فإنها تترك آثاراً عجيبة على روح الانسان ـ اذا لم تكن ميتة ـ وتهديه الى عالم المعاني والمجردات.

أجل ان تلاوة القرآن والتدبر في آياته يجنّب السالك مخاطر الوقوع في حبائل الشيطان، ويوقظ الانسان من غفلته، قال تعالى: **﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾**[١]، و**﴿ويعظكم لعلكم تذكرون﴾**[٢] و**﴿هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين﴾**[٣].

وروي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قوله: «**واعلم ان الله تعالى جعل الدنيا بحراً عميقاً وغريقاً ومعبراً على خطر وممراً على سقر الى قرار مستقر، وأحلَّ العباد فيها لعبادته وملازمة طاعته، وجعل القرآن لهم حبلاً، فقال ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾**»[٤].

فقد عبر الامام عليه السلام عن القرآن بالحبل؛ لأن نجاة الغارق في بحر الظلمات والضلال انما تكون بهذا الحبل الالهي، والمراد من الاعتصام هو التمسك بهذا الحبل بشدّة، اي من خلال التدبر والعمل بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل.

---

١). يونس/٥٧.
٢). النحل/٩٠.
٣). آل عمران/١٣٨.
٤). آل عمران/١٠٣. وهناك روايات متواترة تذكر ان المراد من حبل الله ولاية (أمير المؤمنين علي عليه السلام).

قال تعالىٰ: **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾**[١].

وننقل هنا نصّ رسالة كتبتها سيدة الى أحد العلماء الاتقياء، وكانت قد استيقظت ـ بواسطة القرآن ـ من غفلتها، وبادرت الى اصلاح روحها وتزكية نفسها، فحالفها التوفيق بحمد الله، فغدت صالحة تقية وتنعمت بجمال المعنويات الروحية، وتجردت عن الانغماس في الملذات المادية، علّها تساعد الآخرين على الافاقة من غفلتهم:

لقد كانت نشأتي في عائلة واسعة الثراء، وقد أثرت في تربيتي البيئة التي كنت فيها، وأبواي وما هما عليه من التحلل، فغدوت شيطاناً آخر وانغمست في لجة الذنوب والمعاصي، حتىٰ لم يبق في كياني شيءٌ من الخصال الانسانية، حتىٰ ألمّت بي مصيبة عظيمة، وذلك انني رزقت ولداً بعد سنوات من زواجي، فاصيب بمرض أخذ يتفاقم شيئاً فشيئاً، وذهبت الجهود في علاجه أدراج الرياح، فقد يئس من شفائه الاطباء والمستشفيات الاجنبية، وذات يومٍ صادفت في أحد شوارع طهران عالماً دينياً كان في الحقيقة ولياً من أولياء الله، فبدا لي أن أطلب منه يد العون، فقصدته بعد ان اصلحت من حجابي، وعرضت عليه مشكلتي، فأخرج قرآناً كان معه وقال لي: إن دواءك في آيات هذا القرآن الكريم؛ ثم أراني سورة النور، وقال لي: اقرئي هذهِ الآيات في كل ليلة وتدبري معانيها وسترتفع مشكلتكِ ان شاء الله تعالىٰ، فخلوت في غرفةٍ في حلكة الليل بعد ان توضأت واخذت

---

١). الاسراء/٨٢.

القرآن، فادركت حينها اني كنت بعيدة عن القرآن طوال حياتي، وأحسست بالخجل، ثم فتحت القرآن وشرعت بتلاوة آياته والتدبر في معانيها، فسرت في جسدي خفة، وشعرت كأني أسبح في الفضاء، فقد هزَّت الآيات أعماقي، فأخذت أذرف الدموع أسفاً على ما ضيّعت من عمري، وعقدت العزم في تلك الليلة على العودة الى رحاب القرآن وأهل بيت العصمة عليهم السلام.

الا ان بيئتي السابقة حالت دون علمي بالمسائل الفقهية والاسلامية، فكنت كشخص أعمى يطأ أرضاً لا يعرفها، ووجدت نفسي بحاجة ماسّة الى من يرشدني، فقصدت ذلك العالم ثانية، فساعدني من خلال نصحه وارشاده على الخروج من مستنقع التحلل والانحراف.

والعجيب اني من حين بدأت باصلاح نفسي وتزكية روحي أخذت صحة طفلي بالتحسن، والاعجب من ذلك ان زوجي حينما لاحظ التغير الروحي الذي طرأ عليّ، أفاق هو أيضاً من سباته وغفلته، وسلك طريق السعادة الحقيقية، وعشنا بعدها حياة هانئة مفعمة برضا الله سبحانه وتعالى، وشاهدنا بعين البصيرة الطاف الله ونعمه التى لا تحصى.

المخلصة لكم: س.م

* * *

ويحكى انه كان في مدينة البصرة امرأة اسمها (شعوانة)، وكانت مشهورة بالفسق والفجور، ولا تترك مجلساً للمعاصي الا حضرته، وذات يوم كانت تمشي

مع إمائها في أزقة البصرة، واذا بها تسمع ضجيجاً عالياً ينبعث من أحد البيوت، فارسلت إحدىٰ إمائها الى داخل البيت؛ لتعرف جلية الامر، لكنها لم تعد، فارسلت الاخرىٰ، فذهبت ولم تعد، فارسلت الاخيرة واكّدت عليها أن تعود، فذهبت وعادت بعد برهة لتقول: ليس البكاء والعويل في هذا البيت على الأموات بل هو مأتم اقامه الأحياء على أنفسهم ندماً على ما اقترفوه من المعاصي، فبادرت شعوانة الى الدخول بنفسها فرأت واعظاً يخطب بالناس على منبره ويعظهم بآيات من القرآن ويحذرهم عذاب الله، والحضور يبكون بكاءً مرّاً ويذرفون الدموع، حتىٰ بلغ الواعظ تفسير قوله تعالىٰ: **﴿اذا رأتهم من مكان بعيدٍ سمعوا لها تغيظاً وزفيراً، واذا القوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً﴾**[1].

ولما سمعت شعوانة كلام الواعظ تأثرت بنصحه وافاقت من سباتها، فاتجهت نحوه قائلة: ايها الشيخ، انا من المذنبات فهل ترىٰ لي من توبة؟

فأجابها: ان ربك هو أرحم الراحمين، إن تتوبي يَتُب الله عليك.

فتابت من حينها، واعتقت جميع إمائها، وانقطعت الى عبادة ربها واصلاح نفسها.

وذات يوم نظرت الى جسدها فوجدته ناحلاً ضعيفاً، فقالت: آهٍ آه، هذا ما حلَّ بجسمي في الحياة الدنيا، فكيف ستكون حالتي في الاخرىٰ؟!

فناداها صوت يقول: أبشري يا شعوانة، واستمري على ما انت عليه من

---

١). الفرقان/١٢-١٣.

العبادة، كي تقرَّ عينك يوم القيامة، وتنعمي برحمة الله ولطفهِ.

* * *

إن القرآن الكريم يعبِّر عن الغارقين وسط مستنقع الرذائل والذنوب بقوله: **﴿ثم كان عاقبة الذي أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون﴾**[١].

وان هؤلاء الافراد من الأحياء الميتين يعبِّر عنهم القرآن في موضع آخر بقوله: **﴿ولا يزيد الظالمين الا خسارا﴾**[٢].

لقد حاول حنظلة بن سعد الشامي أحد اصحاب ابي عبدالله الحسين عليه السلام إيقاظ القوم الذين زحفوا الى قتال الامام الحسين عليه السلام، فنصحهم ببعض آيات القرآن الكريم ليحول دون ابتلائهم بقتل امام زمانهم، وارشدهم الى سلوك طريق الخير والسعادة، فقرأ عليهم قوله تعالى حكاية على لسان مؤمن آل فرعون: **﴿ويا قومِ اني اخاف عليكم يومَ التناد، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم، ومن يظلل اللهُ فما له من هاد﴾**[٣].

لقد حاول حنظلة بهذهِ الآيات ان يؤثر في قلوبهم المتحجرة، فقال الامام الحسين عليه السلام: ان كان مؤمن آل فرعون قد نصح، فقد ابلغت النصيحة، ان هؤلاء القوم قد استحقوا غضب الله بعد قتلهم اخوانك الذين سبقوك.

---

١). الروم/١٠.
٢). الاسراء/٨٢.
٣). غافر/٣٢-٣٣.

وعندها طلب حنظلة من الامام عليه السلام الإذن بالقتال، فاذن له الامام عليه السلام، فودعه حنظلة بقوله: «**السلام عليك يا ابا عبدالله جمع الله بيننا وبينكم في الجنة**»، ثم قاتل حتىٰ استشهد رضوان الله عليه.

ثانياً: ذكر مناقب ومصائب أهل البيت عليهم السلام:

ان حضور المجالس التي تنعقد لذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام ومصائبهم، من الموارد التي توقظ الغافلين من سباتهم.

قال سالك الى الله: كنت ذات يوم في مجلس منعقد لذكر مصيبة سيد الشهداء عليه السلام، وكان الخطيب يشرح مناقب أصحاب الامام عليه السلام من الايثار والجهاد والايمان وذوبانهم في حبّ امامهم، فاسندت رأسي الى الجدار واجهشت بالبكاء، ثم انتبهت الى نفسي قائلاً: لماذا لا اكون لامام زماني كما كان اصحاب الحسين عليه السلام لامامهم، فاشتدّ حزني وألمي، فاخذت بالبكاء والعويل حتىٰ فقدت الوعي، فوجدت نفسي في وادٍ سحيق مليء بانواع الحيوانات والزواحف والقذارات، ولم اتمكن من تسلق الصخور طلباً للنجاة، وفي هذا الاثناء سمعت الخطيب يردد اسم سيد الشهداء عليه السلام وصحبه، فقلت لنفسي: حتىٰ متىٰ امكث في هذا الوادي المليء بالقذارات والعَفَن، واخذت أصيح: يا حسين يا حسين يا حسين، فوجدت نفسي وسط روضة غنّاء مليئة بانواع الازهار الجميلة، وبعد أن خرجت من هذا المجلس الذي كان سبباً في يقظتي، عقدت العزم على عدم

العودة الى المعاصي وبدأت بتزكية نفسي.

ثالثاً: التدبر في قصص الذين أفاقوا من غفلتهم فبلغوا قمّة الايمان والقرب من الله حتىٰ صاروا من أولياء الله.

قال سالك: قرأت قبل سنوات كتاب (ملاقاة امام العصر«عج») فكنت كلما قرأت قصة لشخص من السعداء الذين تشرفوا برؤية الإمام«عج» وجدت في نفسي تأثراً وانقلاباً كبيراً يستولي على كياني وحياتي، فلم اتمكن من حبس دموعي، وذات مرّة وضعت الكتاب جانباً، واخذت احاكم نفسي، وكلّي حياء على ما بدر مني من المعاصي حتىٰ كرهت نفسي وأخذتها بالتقريع والتأنيب، وانا أقول: تُرىٰ هل انا انسان أو مسلم او شيعي؟ اذاكنت كذلك فلماذا لم ابلغ السعادة مثل هؤلاء الاشخاص؟ فلو كنت من اتباع أهل بيت العصمة عليهم السلام فلماذا أحدثت شرخاً واسعاً بيني وبينهم بسوء أعمالي؟ وان كنت احبهم فلماذا أُوذيهم بقبيح أفعالي؟ اذن فلابد اني كاذب، وقد حملت أوزاري ولا أدري ماذا سيكون مصيري، كنت اردد هذهِ الكلمات وأنا اجهش بالبكاء والعويل، فأفقت حينها من غفلتي، وانفتح طريق السعادة أمامي والحمد لله.

ولا زلت أعد تلك اللحظة التي افقت فيها من غيبوبتي من اسعد لحظات حياتي، اذ خرجت من هاوية الغفلة الى نور اليقظة، ولو أني سجدت حياتي كلها شكراً لله على هدايته، لما وفيت حقَّ هذهِ النعمة الالهية الكبيرة.

رابعاً: المعاشرة.

قال سالك: تعرفت عن طريق بعض الاصدقاء على استاذ للاخلاق، ومنذ اللحظة الاولى تأثرت بكلماته الحكيمة، فاخذت اذهب اليه يومياً للاستفادة منه والتنعم بمعاشرته، حتىٰ كنت لا اطيق فراقه لحظةً واحدة، وذات يومٍ كنت جالساً في منزلي فسألت نفسي: حتىٰ متىٰ أبقىٰ على هذهِ الهيئة المزرية، فلماذا لا احدث سنخية روحية مع ذلك الاستاذ والولي الصالح؟ وتذكرت كلمات الاستاذ حول السنخية الروحية، فشعرت بخفةٍ في جسدي واعتراني خوف من فقد ذلك الصديق الصالح والحميم، فوجدت ضرورة في ايجاد تلك السنخية والعودة الى الله، وامام العصر«عج»، وأن أتخلىٰ عن سابق أفعالي فما رأيت نفسي الا وانا في طريقي الى مكتب ذلك الاستاذ، لكنني وجدت بابه مغلقاً، فانتابتني حالة من الرعب، وحسبت نفسي ضامئاً في صحراء قاحلة، واوشكت على الهلاك حتىٰ كان الذي يراني يحسبني مجنوناً، ثم صادفني بعض الاصدقاء على تلك الحالة فرقّ لي واعتنقني وسألني عن قصتي، فشرحت له الامر ورويت له طرفاً مما أنا فيه، فاخذني الى خارج المدينة حيث تقع دار اساتذ الاخلاق فعادَ إليَّ هدوئي بعد سماعي لكلماته، وشرعت بحمد الله في السير الى الله سبحانه.

وكان هذا بتأثير معاشرتي وصحبتي لذلك العالم العامل.

قيمة العالم العامل

اذا اردنا الاستيقاظ من غفلتنا فما علينا الا مخالطة الواعين والعلماء العاملين الذين وفقوا الى تزكية أنفسهم.

فالمطلوب هو العمل بتزكية النفس دون الاكتفاء بالجانب العلمي من المسألة، فمن الممكن ان يتمتع شخص بكثير من الفضائل دون ان يتمكن من اعطاء تعريف او ضابطة لتلك الفضائل، وعلى العكس من ذلك قد يكون الشخص عالماً بالمصطلحات العلمية وهو خالي الوفاض من الفضائل والكلمات الروحية، قال الامام عليٌ عليه السلام: «**ربّ عالم قد قتله جلهه وعلمه معه لا ينفعه**»[١].

وقال أيضاً: «**علم بلا عمل كشجر بلا ثمر**»[٢].

والمراد من هذا الجهل هو الفقر الروحي والاخلاقي الذي يؤدي بالعالم الى الهلاك، ذلك أنَّ الفضائل والرذائل هي المحك في عملية التزكية الروحية.

ونذكر لذلك مثلاً: لو ان شخصاً عالماً أدرك معنى العدل دون ان يكون العدل طبيعة فيه، او أنه كان يعدل خوفاً من العذاب، فان هذا الشخص وان اعتبر عادلاً من الناحية القانونية، الا انه لا يعتبر عادلاً بالمعنى الحرفي للكلمة من وجهة نظر التزكية الروحية، لانه انما يكون عادلاً فيما اذا درّب نفسه على السير تلقائياً على صراط العدالة المستقيم، ولذلك يشير أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول: «**إن قوماً**

---

١). نهج البلاغة، الكلمات القصار، ١٠٧، ص ٤٨٧.
٢). غرر الحكم، ص ١٥٢، ٢٨١٨.

عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»[١].

ذلك لان الذين يزكون انفسهم انما يصدرون في أفعالهم بوحي من الحبّ والهيام في ذات الله تعالى، ولذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك**»[٢].

ولكن بطبيعة الحال اذا اقترنت عملية تزكية النفس بالعلم، فانها ستؤثر أثرها بشكل اسرع وأفضل، ولذلك أمرنا الاسلام بمصاحبة العلماء الذين زكّوا انفسهم، لان في ذلك ـ مضافاً الى يقظة الغافلين ـ توجيههم نحو الفضائل والكمالات الروحية، قال عليّ عليه السلام: «**اعلموا أن صحبة العالم واتباعه دين يدان الله به، وطاعته مكسبة للحسنات ممحاة للسيئات، وذخيرة للمؤمنين، ورفعة فيهم في حياتهم وجميل بعد مماتهم**»[٣].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**قالت الحواريون لعيسى: يا روح الله من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله**»[٤].

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «**لمجلس أجلسه إلى من أثق به أوثق في نفسي من عمل سنة**»[٥].

---

١). نهج البلاغة، قصار الحكم، رقم ٢٣٧، ص ٥١٠.
٢). بحار الانوار، ١٤/٤١.
٣). اصول الكافي، ١٨٨/١، حديث ١٤.
٤). اصول الكافي، ٣٩/١، حديث٣.
٥). أصول الكافي، ٣٩/١، حديث ٥.

وقال رسول الله ﷺ: «**مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة**»[١].

وقال الامام السجاد عليه السلام في دعاء ابي حمزة الثمالي: «**او لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، او لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني**»[٢].

فمن خلال الالتفات الى هذهِ الروايات يدرك السالك ضرورة مجالسة العالم الذي طهر نفسه من خلال العمل بالتكاليف الشرعية، ولا يجالس كل من ادعىٰ العلم فقط، قال الامام الصادق عليه السلام بعد قوله تعالى: ﴿**إنما يخشىٰ الله من عباده العلماء**﴾[٣]: (يعني بالعلماء من صدَّق فعلُه قولَه، ومن لم يصدّق فعله قولَهُ فليس بعالم)[٤].

ويتضح من هذهِ الرواية ان على العالم ان يطبق ما تعلمه من الفضائل على نفسه؛ لينعكس ذلك على سلوكه وافعاله.

وجا في رواية أخرىٰ: «**أشقىٰ الناس من هو معروف عند الناس بعلمه مجهول بعمله**»[٥].

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تصلح عوام أمتي الّا بخواصها، قيل: ما خواص أمتك يا رسول الله؟ فقال: خواص امتي اربعة: الملوك والعلماء والعباد والتجار، قيل كيف ذلك؟ قال ﷺ: الملوك رعاة الخلق، فاذا كان الراعي ذئباً فمن يرعىٰ الغنم؟**

---

١). أصول الكافي، ١/٣٩، حديث ٤.
٢). دعاء ابي حمزة الثمالي، مفاتيح الجنان.
٣). فاطر/٢٨.
٤). أصول الكافي، ١/٣٦، حديث٢.
٥). بحار الانوار، ٢/٥٢، الحديث ١٩.

والعلماء اطباء الخلق، فاذا كان الطبيب مريضاً فمن يداوي المريض؟ والعباد دليل الخلق، فاذا كان الدليل ضالاً فمن يهدي السالك؟ والتجار امناء الله في الخلق، فاذا كان الأمين خائناً فمن يُعتمد؟»[١].

تعد المعاشرة ضرورة في حياة البشر حتىٰ ان السعادة والشقاء الابديين ينشآن منها، وطبقاً للمثل القائل: (الطيور تقع على اشكالها) يمكننا التعرف على طبائع الاشخاص من خلال النظر الى من يجالسون، قال علي عليه السلام: «**فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه فانظروا الى خلطائه**»[٢].

وفي رواية أخرىٰ له عليه السلام: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[٣].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الخامس: قراءة حياة أولياء الله.

من الطرق التي يمكن بواسطتها ايقاض الغفاة وحثهم على تزكية انفسهم، دراسة حياة العلماء العاملين وأولياء الله، فان فيها دروساً وعبراً للمعتبرين، قال الله تعالى: ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب**﴾[٤].

وفي آية اخرىٰ: ﴿**إنَّ في ذلك لعبرة لمن يخشىٰ**﴾[٥].

---

١). المواعظ العددية، الباب الرابع ص ٢١٤.
٢). الوسائل، ١٦/٢٦٥، ٢١٥٢٦؛ صفات الشيعة للصدوق ص ٦ حديث ٩.
٣). المستدرك الوسائل، ٨/٣٢٨، ٩٥٦٨.
٤). يوسف/١١١.
٥). النازعات/٢٦.

حينما ندرس حياة السالكين الى الله وكيف أنهم بلغوا ساحل السعادة، واستفادوا من عظيم الحجج الإلهية، فسوف نعتبر بهم ونطبق وضعنا على ما وصلوا اليه، ونصحو من غفوتنا لنخرج من الضلال الى الهدى، ومن الانحراف الى الصراط المستقيم، قال الامام علي عليه السلام: «**من اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم**»[١].

وقال أيضاً: «**الفكر مرآة صافية والاعتبار منذر ناصح**»[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولدهِ الامام الحسن عليه السلام: «... **وذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسر في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فعلوا، وعما انتقلوا، وأين حلّوا ونزلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة، وحلّوا ديار الغربة**»[٣].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

لقد اكثر القرآن الكريم من حث الناس وتحريضهم على السير في الارض، والنظر في حياة الماضين، وكيف كانت عاقبة المسترشدين، وما آلت اليه حال الغافلين، قال تعالى: ﴿**أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها، وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾[٤].

---

١). سفينة البحار، ٢/١٤٦.
٢). سفينة البحار، ٢/١٢٦.
٣). نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ص ٣٩٢.
٤). الروم/٩.

ولقد اتخذ بعض العظماء التفكير والتدبر في مخلوقات الله والاعتبار بمن سبقه عبادة له، قال الامام الصادق عليه السلام: «كان أكثر عبادة أبي ذر التفكر والاعتبار»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اغفل الناسِ من لم يتعظ بتغيّر الدنيا من حالٍ الى حال»[٢].

ذلك ان السالك حينما يقرأ سيرة اولياء الله يدرك انهم كانوا باديء الامر بشراً مثله، الا أنهم احدثوا تغيراً في أنفسهم حال دون تمكن الشيطان من اضلالهم، فتمسكوا برحمة الله وفضله حتى نالوا درجة الأولياء، وعندها يبادر الى ايجاد ذلك التغير في نفسه ليغدو من أولياء الله.

لابد من اليقظة

علينا ان ندرك ان الله سبحانه لم يخلق شيئاً عبثاً، بل ان جميع افعاله تقوم على اساس الحكمة والمصلحة.

قال تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون﴾[٣].

وقال أيضاً: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾[٤].

إلّا ان اكثر الناس لا يلتفتون الى هذهِ الحقيقة حتى آخر لحظة من حياتهم، فلا يفيقون من سباتهم، ويسيطر عليهم الشيطان والنفس الامارة، قال علي عليه السلام:

---

١). سفينة البحار، ٢/١٤٦.
٢). سفينة البحار، ٢/١٤٦.
٣). المؤمنون/١١٥.
٤). آل عمران/١٩١.

«الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[١].

وهذا ما تؤكده كثير من آيات القرآن الكريم؛ اذ لا يدرك الناس الحقيقة ولا يقدّرون خطورة الموقف الّا بعد فوات الأوان، ولات حين مناص، قال تعالى: ﴿وانذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة﴾[٢].

وقال أيضاً: ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون﴾[٣].

وقد حثَّ أمير المؤمنين عليه السلام جميع الناس على الاستيقاظ فقال: «أما من دائك بُلولٌ، أم ليس من نومك يقظة... وكيف لا يوقظك خوفُ بياتِ نقمةٍ وقد تورَّطت بمعاصيه مدارج سطواته، فتداوَ من داء الفترة في قلبك بعزيمة، ومن كرىٰ الغفلة في ناظرك بيقظة»[٤].

وقال أيضاً: «فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار والأسماع والأفئدة يُذكِّرون بأيام الله»[٥].

وقال أيضاً: «اليقظة نورٌ»[٦]، «اليقظةُ استبصار»[٧]، «التيقظ في الدين نعمة على من رزقه»[٨].

---

١). لئالي الاخبار، ٤٣/٤.
٢). مريم/٣٩.
٣). المنافقون/٩.
٤). نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٣، ص ٣٤٤.
٥). نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٢، ص ٣٤٢.
٦). غرر الحكم، ص ٤٤٨، ١٠٢٨٨.
٧). المصدر السابق (١٠٢٩٠).
٨). المصدر السابق، ص ٨٤، ١٣٧٨.

وفي دعاء الصباح: «**يا من ارقدني في مهاد أمنه وامانه وأيقظني الى ما منحني به من مننه واحسانه**»[١].

مدة مراحل التزكية

تختلف مراحل تزكية النفس باختلاف نسبة التلوث الروحي لدىٰ الافراد، فتارة تكون إصابة الافراد بالرذائل قليلة، وفي هذه الحالة يستغرق علاجهم مدة قصيرة، وتارة يصابون بدرجات اكبر فيكون علاجهم أطول؛ فان الامراض الروحية كالامراض الجسدية التي تختلف نسبة علاجها ومقدار الادوية التي يحددها الطبيب لكل مريض، وعلى المريض أن يتحلّى بالصبر في مثل هذهِ الحالات، وان يتّبع ارشادات الاستاذ بدقّة.

ونحن من خلال تتبع الروايات وجدنا ان متوسط المدة الزمنية اللازمة في طيّ مراحل تزكية النفس قد حددّت بسنة كاملة.

فمثلاً قال الامام جعفر الصادق عليه السلام: «**إذا كان الرجل على عمل فليدم عليه سنة**»[٢].

وقال في رواية أخرىٰ: «**من عمل عملاً من أعمال الخير فليدم عليه سنة، ولا يقطعه دونها**»[٣].

---

١). مفاتيح الجنان.
٢). أصول الكافي، ٢/٨٢، الحديث ١.
٣). مستدرك الوسائل، ١/١٣٠، الحديث ٤.

وقال أيضاً: «**إياك أن تفرض على نفسك فريضة فتفارقها اثنى عشر هلالاً**»[١].

يتصور بعض ان بامكانه بلوغ المدارج الروحية السامية من خلال أداء بعض العبادات الطويلة والشاقة، في حين انه لا يحصل على ذلك، بل على العكس، فانه يستشعر حالة ملل ونفوز من العبادة.

ان الحقيقة هي أن السالك الى الله لا ينبغي له الافراط في الدعاء والعبادة؛ لان ذلك سيؤدي به أما الى ترك العبادة، وأما الى أدائها بحكم العادة دون تدبر معانيها، فلا يكون لها تأثير ايجابي على روحه، بل قد يكون تأثيرها سلبياً، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**قليل تدوم عليه أرجىٰ من كثير مملولٍ منه**»[٢].

وقال في وصيته لابنه عليه السلام: «**واقتصد يا بني في معيشتك، واقتصد في عبادتك، وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه**»[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كراكب المنبت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقىٰ**»[٤].

«**قال مفضل بن عمر: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فذكرنا الأعمال، فقلت أنا: ما أضعف عملي، فقال: مه استغفر الله، ثم قال لي: إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى، قلت: كيف يكون كثير بلا تقوى؟ قال: نعم مثل الرجل يطعم طعامه ويرفق جيرانه ويوطيء رحله، فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه، فهذا**

---

١). أصول الكافي، ٨٣/٢، الحديث ٦.
٢). نهج البلاغة، قصار الحكم ٤٤، ص ٥٢٥.
٣). بحار الأنوار، ٢٠٣/٤٢.
٤). أصول الكافي، ٨٦/٢، الحديث ١.

العمل بلا تقوى، ويكون الآخر ليس عنده فإذا ارتفع له الباب من الحرام، لم يدخل فيه»[١].

درك الالهامات الرحمانية

تطهر روح السالك من قذارات المعاصي بفعل التزكية، ويغدو قلبه محلاً لنزول الالهامات الروحانية التي هي مصدر العلم والحكمة، بل ان الله سبحانه ألهم الانسان منذ أن خلقه وعرفه طريق الخير والشر بواسطة نور العقل، الا أن الانسان بسبب انغماسه التدريجي في المعاصي واطاعة الشيطان، أوجد في نفسه ظلاماً دامساً يستحيل معه استيعاب الالهامات الرحمانية، فيلهمه الشيطان ما شاء له أن يلهمه، فيجعل منه عبداً مطيعاً له، قال تعالى: **﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾**[٢].

وقال في سورة الاعراف حكاية عن الشيطان: **﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾**[٣].

وقال النبي ﷺ بهذا المضمون: **«لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماوات»**[٤].

---

١). أصول الكافي، ٢/٧٦، الحديث ٧.
٢). الانعام/١٢١.
٣). الاعراف/١٦-١٧.
٤). عوالي اللئالي، ٤/١١٣.

ولذلك حينما يبادر الانسان الى تزكية نفسه وتطهير قلبه من القذارات والرذائل، يستوجب افاضة العلم والحكمة من قبل الله سبحانه، قال تعالى: **﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾**[١].

وقال أيضاً: **﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾**[٢].

ان ذكر العلم بعد التقوى في هذهِ الآية يشعر بان للتقوىٰ وتزكية النفس تأثيراً مباشراً في الهام الله الانسان العلم والحكمة.

ان التزكية والتقوىٰ يمنحان الانسان بصيرة ثاقبة، قال تعالى: **﴿ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾**[٣].

وقال أيضاً: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾**[٤].

وقال أيضاً: **﴿ومن يتق الله يجعل له من امره يسراً﴾**[٥].

وفي كلام لرسول الله ﷺ: «**جاهدوا أنفسكم على شهواتكم تحل قلوبكم الحكمة**»[٦].

وعن الباقر ﷺ: «**ما أخلص العبد الإيمان بالله عز وجل أربعين يوماً أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله عز وجل أربعين يوماً إلا زهده الله عز وجل في الدنيا وبصّره**

---

١). الجمعة/٢.
٢). البقرة/٢٨٢.
٣). الانفال/٢٩.
٤). الطلاق/٢.
٥). الطلاق/٤.
٦). مجموعة ورام ١٢٢/٢.

داءها ودواءها، فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه»[١].

ان الالهامات الشيطانية لا تنسجم وفطرة الانسان، ولذا تجد الانسان بعد أن يستجيب لوساوس الشيطان نادماً مستقبحاً ما صدر منه.

«قد شكا قوم الى النبي ﷺ لما يعرض لهم، لان تهوي بهم الريح أو يقطعوا، أحب اليهم من ان يتكلموا به، فقال رسول الله ﷺ: أتجدون ذلك؟ قالوا: نعم، قال: والذي نفسي بيده، إنّ ذلك لصريح الايمان، فاذا وجدتموه فقولوا: آمنا بالله ورسوله، ولا حول ولا قوة الّا بالله»[٢].

وروي في الكافي: «أنه جاء رجل الى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكتُ، فقال له: هل أتاك الخبيث فقال لك: من خلقك؟ ففلت: الله تعالى، فقال لك: الله من خلقه؟ فقال له: أي والذي بعثك بالحق، لكان كذا، فقال رسول الله ﷺ: ذاك والله محض الايمان»[٣].

يبدأ السالك الى الله بعد طي مراحل تزكية النفس والوصول الى الكمالات الروحية بتمييز الالهامات الرحمانية من الوساوس الشيطانية، قال تعالى: ﴿ان الذين اتقوا اذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون﴾[٤].

وحينما يطيع الله عز وجل يجعل من قلبه مهبطاً للملائكة وموضعاً لإفاضة الأنوار القدسيّة، فيبلغ مراتب النفس المطمئنة العالية ويشمله قوله تعالى: ﴿يا ايتها

---

١). اصول الكافي، باب الاخلاص، ٢/١٦.
٢). جامع السعادات ١/١٩٦.
٣). جامع السعادات ١/١٩٥.
٤). الاعراف/٢٠١.

النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية»[١].

ويصل الى مراتب المخلصين السامية، حيث لا سلطة للشيطان عليه: **﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾**[٢].

وفي كتاب بشارة المصطفى رواية طويلة يوصي فيها امير المؤمنين عليه السلام كميل بن زياد منها: **إذا وسوس الشيطان في صدرك فقل: «أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي، وأعوذ بمحمد الرضي من شر ما قدر وقضي...»**[٣].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

---

١). **الفجر**، ٢٧ـ٢٨.
٢). **الحجر**/ ٤٠.
٣). بشارة المصطفى، ص ٢٧.

استاذ تزكية النفس

ليس بالامكان سلوك الطريق الى الله المليء بالمخاطر دون استاذ وهادٍ، فلما لم يكن بالامكان انجاز أبسط الاعمال المادية والدنيوية بمعزل عن الاستاذ والمرشد، فيكف يمكن تعلم وانجاز اصعب الاعمال وأشقها الا وهو صيرورة الانسان إنساناً وبلوغه مدارج الكمال والعبودية دون استاذ؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**يا كميل ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة**»[1].

وبما ان السير الى الله يؤدي بالسالك الى القرب الحقيقي وكمال العبودية، فقد عمدت شياطين الانس والجن الى نصب شباكها وحبالها في هذا الطريق كي يضلوا عباد الله، قال تعالى: ﴿**شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً**﴾[2].

فلو أراد الانسان مع جهله طريق السير الى بلوغ الكمالات ان يسلك هذا

---

١). تحف العقول، ص ١٧١.
٢). الانعام/١١٢.

الطريق دون توجيهٍ وارشاد من استاذٍ، فإنه لا محالة واقع في حبائل الشياطين، قال تعالى: **﴿انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾**[١].

وقد أقسم الشيطان علىٰ أن يضل كل من يحاول السير الى الله والوصول الى مراتب العبودية السامية، قال تعالى حكاية عن لسان الشيطان: **﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾**[٢]، وقال أيضاً: **﴿لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين﴾**[٣].

ومن هنا كان السالك بحاجة الى مرشد وهادٍ حتىٰ يمكنه بلوغ القرب الحقيقي وكمال العبودية من طريقه الصحيح، الا وهو القرآن الكريم والعترة الطاهرة عليهم السلام.

ومن جهة أخرىٰ فان الله تعالى انما انزل القرآن وهديه على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله فكان هو صلى الله عليه وآله وأوصياؤه عليهم السلام وحدهم الذين ارتبطوا بالله عز وجل، فالهمهم المعارف والعلوم الدينية، فحملوها الى أتباعهم، وعلينا ان نستفيد من هؤلاء الاتباع وتلاميذ أهل البيت عليهم السلام ونجعلهم اساتذة لنا كي نتعرف المعارف الإلهية الحقّة ونعمل بها، قال تعالىٰ: **﴿وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم﴾**[٤].

وفي الحديث الشريف: «**إن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك**

---

١). النحل/١٠٠.
٢). ص/٣٩.
٣). الحجر/٣٩.
٤). آل عمران/٧.

مقرّب أو نبيٌ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان»[١].

وعن الامام زين العابدين عليه السلام: «**هلك من ليس له حكيم يرشده**»[٢].

وقال جعفر بن محمد عليه السلام: «**من لم يكن له واعظ من قلبه، وزاجر من نفسه، ولم يكن له قرين مرشد استمكن عدوه من عنقه**»[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**سل عن الرفيق قبل الطريق**»[٤].

اي ابحث أولاً عن هادٍ أمين، ثم اسلك طريق السير الى الله سبحانه وتعالى.

وكنموذج لذلك نذكر طرفاً من كلام السيد الامام الخميني رحمه الله في ضرورة وجود الاستاذ في العلوم الاخلاقية والمعنوية: (اتخذ لنفسك استاذاً في الاخلاق، واجلس في مجالس الوعظ والخطابة والنصيحة، فليس بامكان الانسان ان يهذّب نفسه بمفرده، وان الحوزة سوف يكتب عليها الفناء اذا فقدت اساتذة الاخلاق وتخلّت عن جلسات الوعظ والنصيحة، فكيف كانت هناك ضرورة للاستاذ في علم الفقه والاصول وجميع العلوم والصناعات الاخرى، ولا يكون علم الاخلاق بحاجة الى تعليم وتعلم؟ وقد سمعت مراراً ان الشيخ الانصاري رحمه الله قد اتخذ لنفسه سيداً جليلاً استاذاً يعلمه الاخلاق)[٥].

ونقل عن المرحوم (الميرزا علي القاضي) استاذ (العلامة الطباطبائي) في

---

١). بحار الانوار، ١٨٣/٢.
٢). بحار الانوار، ١٥٩/٧٥.
٣). من لا يحضره الفقيه، ٤٠٢/٤، الحديث ٥٨٦٦.
٤). نهج البلاغة ص ٤٠٥، صبحي الصالح، الكتاب ٣١.
٥). الجهاد الاكبر، وتكملة ولاية الفقيه، ص ٦١٥، ٢١٦.

الاخلاق قوله: (ان ما هو مهم في هذا الطريق استاذ خبير وبصير وكامل، واصل الى المعارف الالهية، وان يكون قاطعاً للاسفار الثلاثة الاخرى وان يكون سلوكه في عالم الخلق بالحق).

ولو أن شخصاً أفنىٰ نصف عمره في البحث عن استاذ يرشده الى طريق السير الى الله ما كان ملوماً؛ لأنَّ من يحصل على استاذ في الاخلاق يكون قد قطع نصف الطريق في سيره الى الله.

كيف نعثر على استاذنا

قال سالك: بعد ان أفقت من غفلتي، استولى على كياني اضطراب عجيب، فلم اكن لأعرف ماذا أفعل، ومن اراجع، ومن أين أبدأ. فتوصلت الى ضرورة المرشد في بلوغ الهدف، وكانت لي قراءات واسعة حول المذاهب والاديان بحكم دراستي في الحوزة العلمية، وكنت على علم بانها أبعدت الانسان عن انسانيته وأودت به في أودية الضياع، فقد كان زعماؤها من النصابين والكذابين الذين يحاولون خداع الناس عن دينهم، فاستفادوا حتىٰ من الامور العبادية ليشبهوا على الناس أمرهم، ونصبوا شباكهم باسماء مختلف من الصوفية والبابية والشيخية، فناصبوا الولاية والفقاهة أشدّ العداء، فلا يذكرون الفقهاء ومراجع الشيعة الا باستخفاف وامتعاض؛ لانهم يدركون جيداً ان الفقهاء هم السدّ المنيع الذي يحول دون تمكنهم من نشر افكارهم المنحرفة.

فكنت في حيرتي أبحث عن فقيهٍ سالك مطيع لامام زمانه«عج» ليرشدني اليه أيضاً، فكنت اذهب الى حرم الامام الرضاﷺ يومياً واتوسل اليه واطلب منه العون، حتى صادفت يوماً في حرمه الشريف عالماً اتضح لي فيما بعد أنه من اولياء الله، فاخبرته بخبيئة نفسي، فقال لي: إعلم أن أمير المؤمنينﷺ قال: «**ان رسول اللهﷺ أدبه الله عز وجل، وهو أدبني، وأنا أؤدب المؤمنين**»[١].

فعليك ان تعلم بان امام زمانك«عج» حيٌ وان الله لم يتركك دون امام يرشدك الى الله، فعليك باتباع الخطوات الآتية:

أولاً: توسل بامام زمانك واطلب منه العون ليهديك.

ثانياً: اختر لنفسك استاذاً لا يحيد عن دائرة أوامر أهل البيتﷺ؛ فقد ورد في توقيع عن الامام الحجة المنتظر«عج»: «**واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا**»[٢].

ثالثاً: ان يكون ذلك الاستاذ واصلاً الى هدفه مستجمعاً للكمالات الروحية والمعنوية، فعن الامام الصادقﷺ: «**فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه**»[٣].

رابعاً: لا ينبغي لذلك الاستاذ ان يكون طامعاً بك، يتخذك جسراً لرغباته النفسية، قال تعالى: ﴿**اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون**﴾[٤].

---

١). بحار الانوار، ٢٦٩/٧٤.
٢). بحار الانوار، ١٨١/٥٣.
٣). بحار الانوار، ٨٦/٢.
٤). يس/٢١.

وعندها زالت حيرتي، واتبعت نصائح ذلك العالم، فوصلت بحمد الله الى غايتي واستاذي، واخذت ادرس عنده، وحصلت على تأييدات عديدة من طريق العقل والالهام والرؤيا الصادقة.

وحينما ذهبت الى استاذي في السير الى الكمالات قال لي: إقرأ قصة موسىٰ عليه السلام مع الخضر في سورة الكهف وتدبر فيها جيداً، وحدثني بانطباعاتك عنها، وكان هذا اول درس أتعلمه، ففتحت القرآن في الليل حيث نام الجميع واستولى على المكان هدوء مطلق، وشرعت بتلاوة سورة الكهف، ثم عاودت القراءة مع التدبر مستعيناً بكتب التفسير، فانفتحت أمامي آفاق واسعة وحصلت على دروس كثيرة.

وحينما ذهبت في الغد الى استاذي، بادرني بالسؤال: ماذا فهمت من الآيات؟ فاجبته: فهمت عدة امور مهمة في السير الى الله، لولاها لا يمكن للسالك ان يكون موفقاً في سيره الى الله.

فأولاً: لا يمكن سلوك هذا الطريق المليء بالمخاطر دون الاستعانة باستاذ متكامل.

وثانياً: ينبغي للسالك ان يذعن لاستاذه بشكل كامل، ولا يسأله عن فحوىٰ أوامره وارشاداته.

وثالثاً: يجب على السالك ان يتناسىٰ منصبه الظاهري حينما يقبل على استاذه وطبيبه الروحي، فكما ان الناس على مختلف طبقاتهم يذهبون الى الطبيب

لكي يعالجوا امراضهم الجسدية دون ان يبدوا اي تباهٍ بمناصبهم أمامه، بل تراهم يذعنون له بشكل كامل، وانك لتجد موسى عليه السلام برغم انه نبي مرسل ومن أولي العزم، فهو بحسب الظاهر أرفع درجة من الخضر عليه السلام الا أنه يتقدم اليه بتواضع كامل ويقول له: **﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً﴾**[1].

ورابعاً: على السالك ان يعلم ان من حقّ الاستاذ ان يُفارقه فيما اذا تماهل أو قصَّر في إطاعة أوامره، أو اعترض عليه، كما صنع الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام إذ قال له: **﴿هذا فراق بيني وبينك﴾**[2].

وينبغي للاستاذ أن يأخذ من تلميذه العهود اللازمة حتى يتمكن من تزكيته وايصاله الى الكمال بشكل أسرع وأفضل.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تحديد الهدف

قال الاستاذ: ما هي غايتك من السلوك الى الله؟ هل حددت الهدف من ذلك؟ من هو محبوبك الذي تحركت من اجله؟ يريد بعضهم ان تستجاب دعوته، والآخر ان تطوى له الارض، أو الوصول الى الكشف والشهود، وما الى ذلك، فمن أيهم أنت؟ فقلت له: لا شيء من ذلك، انما اريد أن أتقرب من الله واكون من خواص أنصار إمام زماني «عج».

قال الاستاذ: انما قلت لك ذلك حتى تحدد غايتك، والا فان هذه الامور

---

١). الكهف/٦٦.
٢). الكهف/٧٨.

ليست هدفاً حقيقياً للذي خلقه الله ليكون خليفة ويتحلىٰ بصفات الله وأسمائه، قال تعالى: **﴿اني جاعل في الارض خليفة﴾**[١]، وقال أيضاً: **﴿وما خلقت الجنَّ والإنس الا ليعبدون﴾**[٢]. وقد فسرت كلمة (ليعبدون) بـ(ليعرفون)[٣].

اذ لا يمكن بلوغ الكمالات الا بالعبادة، والعبادة تتوقف على المعرفة، وكأن العبادة وقعت غاية للخلقة، ولذلك قدمت المعرفة عليها حتىٰ يصل السالك الى كمال العبودية عن طريق المعرفة.

اذن فينبغي ان يكون هدفك هو ما أراده الله لك، وان تجعل من نفسك مرآة تنعكس عليها صفات الله وأسماؤه الحسنىٰ، وتذوب في تلك الصفات حتىٰ تغدو خليفة الله ومن أوليائه حقيقةً.

ومن المحتمل ان تحصل في سلوكك علىٰ بعض المكاشفات والمشاهدات، وقد تطوىٰ لك الارض، وتصل الى تجرد الروح وما الى ذلك، فاحذر أن تصدّك هذهِ الامور عن مواصلة الطريق فتتخلف عن قافلة السالكين؛ لان غايتك أسمىٰ من هذهِ الامور، وربما لا يحدث لك شيءٌ منها، فلا تحزن ولا يذهبن بك الظن الى اليأس والاحباط، فان مثلك في هذه الحالة كشخص يسافر في حافلةٍ ليلاً، فهو وان خفيت عليه معالم الطريق، الا انه في حركته سيبلغ الهدف، فما عليك الا التخلي عن الرذائل والتحلي بصفات الكمال والجلال حتىٰ تبلغ

---

١). البقرة/ ٣٠.
٢). الذاريات/ ٥٦.
٣). تفسير منهج الصادقين، ٤٧/٩.

الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

كثرة العبادة

يتصور بعض ان بامكانه بلوغ الكمالات عن طريق العبادة الكثيرة والشاقة، ولذلك يلزمون انفسهم باحياء الليل الى الصباح او الصيام نهاراً أو قراءة دعاءٍ أو ذكرٍ آلاف المرات، دون التفات الى معنى العبادة والاخلاص فيها، فلا تكون عبادتهم سوى لقلقة لسان، وعلى أثر الاخفاق وعدم بلوغ الهدف تجدهم ينحرفون ويقعون في حبائل الشيطان، او يواصلون عملهم العبادي بحكم العادة دون قصد القربة، فيُعرفون بين الناس بالقداسة، في حين انهم يظلمون أنفسهم والآخرين، فيكون ضررهم أشد، قال رسول الله ﷺ: «**أنسك الناس نسكاً أنصحهم جيباً وأسلمهم قلباً لجميع المسلمين**»[1].

على السالك ان يقوم بالاعمال العبادية باشراف الاستاذ الذي يعد له برنامجاً عبادياً منظماً يحول دون وقوعه في العناء والمشقة والنفور من العبادة.

ان الادعية والنوافل باجمعها أدوية لعلاج الامراض الروحية، فلا ينبغي استعمالها دون اذنٍ من الطبيب الروحي الذي عليه، قبل كل شيء ان يشخص المرض الروحي، ثم يحدد لنا من بين الادعية والاعمال العبادية الدعاء والعبادة المناسبة، حتى يأخذ بيد السالك الى الكمالات دون احساس بالتعب والملل.

---

١). بحار الانوار، ٣٣٨/٧١.

وقد ورد عن المفضل بن عمر «كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فذكرنا الأعمال فقلت أنا: ما أضعف عملي، فقال: مه استغفر الله، ثم قال لي: إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى، قلت: كيف يكون كثير بلا تقوى؟ قال: نعم مثل الرجل يطعم طعامه ويرفق جيرانه ويوطيء رحله، فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه، فهذا العمل بلا تقوى، ويكون الآخر ليس عنده، فإذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه»[1].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١). أصول الكافي، ٧٦/٢، الحديث ٧.

مراحل التوبة

١ ـ حقيقة التوبة

٢ ـ التوبة النصوح

٣ ـ القاء الذنوب على الآخرين

٤ ـ طرق قبول التوبة

٥ ـ تخطيط لمرحلة التوبة

٦ ـ نجاح سالك

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حقيقة التوبة

ان على السالك الذي استيقظ من غفلته ورام السير في طريق الكمالات ان يتعرف حقيقة التوبة؛ لان التوبة هي الخطوة الاولىٰ التي يخطوها في طريق العودة الى الله، ويكون العبد فيها قد طهّر قلبه من الذنوب وسائر القذارات الروحية، وبذلك يكون مستحقاً لهداية الله سبحانه، قال تعالىٰ: **﴿واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ﴾**[1].

يتضح من هذه الآية ان التوبة والايمان بالله، والعمل الصالح وتزكية النفس من اعظم الاعمال التي تؤدّي الى سعادة السالك وهدايته واستجابة الله له.

ان التوبة تؤدي الى الفلاح، وهي الخطوة الاولى التي يرفعها السالك الىٰ الله للوصول اليه، قال تعالىٰ: **﴿وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾**[2].

ان التوبة واجبة بحكم العقل واجماع الفقهاء، ان روح الانسان بمنزلة مرآةٍ

---

١). طه/ ٨٢.
٢). النور/ ٣١.

يصيبها الصدأ بتأثير الذنوب والمعاصي، فلا ينعكس عليها النور، ولذلك تجد العاصي كارهاً لسماع الحق والعمل به، الا انه ما أنْ يفيق ويبادر الى تطهير روحه وصقل مرآة قلبه لينفذ اليها نور الحق، حتىٰ تراه يصل الى درجة العليين، قال الإمام عليٍّ عليه السلام: «**ان الاستغفار درجة العليين**»[١].

لا شكّ ان الوصول الى السعادة الابدية والنجاة من مهالك الدنيا والآخرة، يتوقف على تطهير النفس من الرذائل، والانس بلقاء الله، وانَّ مَن حيل بينه وبين الوصول الى هذه الدرجات سوف يبتلي بأنواع العذاب، ويكون من زمرة الاشقياء، ولا تعود هذه الشقاوة الا الى المعاصي والذنوب والرذائل الروحية، وليس من طريق الى الخلاص الا التوبة والاستغفار والتزكية الكاملة.

واذا لم يستفق الشخص من غفلته، وظلّ في تخبّطهِ في الرذائل، فانه سيفقد الروح الايمانية ويغدو منكراً لله وآياته، قال تعالىٰ: ﴿**ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السّوأىٰ أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون**﴾[٢]، وعندها لا يبقىٰ هناك أمل في حياته الروحية، ويكون كسائر الحيوانات بل أدون منها، قال تعالىٰ: ﴿**اولئك كالأنعام بل هم أضل**﴾[٣]، وقال أيضاً: ﴿**ان هم كالانعام بل هم أضل سبيلاً**﴾[٤].

وقال الله تعالى بشأنهم في موضع آخر: ﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى**

---

١). جامع السعادات، ٣/١٠٤.
٢). الروم/ ١٠.
٣). الاعراف/ ١٧٩.
٤). الفرقان/ ٤٤.

سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة»[١].

ان الايمان بمنزلة الجسد، والاعمال بمنزلة الجوارح والاعضاء، فاذا كان الشخص مؤمناً بالله والرسول والائمة عليهم السلام، وخالفت أعماله الشرع الاسلامي، سيكون بمنزلة الجسم الذي لا أعضاء له، ويكون كفاقد البصر، وستكون عاقبة أمره الفناء التدريجي والموت بسبب استجابته لرغباته وأهوائه، فيفقد الحياة الطيبة التي هي عبارة عن الانس بلقاء الله والاستمتاع بمناجاته وعبادته، ويكون مستقبله مظلماً ومخيفاً، قال الامام الصادق عليه السلام: «**يقول الله تعالىٰ: ان أدنىٰ ما أصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي ان أحرمه لذيذ مناجاتي**»[٢].

وفي حديث آخر له عليه السلام: «**إن العمل السيىء أسرع في صاحبهِ من السكّين في اللحم**»[٣].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

اي ان البركات المعنوية سريعاً ما تقطع بسبب الذنوب.

حينما يستيقظ السالك الى الله من غفوته، ينبغي له ان يجدّ في تزكية نفسه بشكل كامل والحصول على الصفات الحميدة، والتوبة والعودة الى الله هي الخطوة الاولىٰ في هذا المجال، وعليه ان يعي حقيقة أنَّ ما نهي عنه في ضرره، وأنَّ ما أُمر به في صالحه.

ان مثل المعاصي والذنوب كمثل الاطعمة الفاسدة والمسمومة بالنسبة الى

---

١). البقرة/ ٧.
٢). جامع السعادات، ٣/٤٨.
٣). اصول الكافي، ٢/٢٧٢، الحديث ١٦.

جسم الانسان، فما اسرع ما تتركهُ المعاصي من آثارٍ على الروح فتفسدها وتعدمها من الصفات الحميدة، وتأخذ بالروح الى أودية الهلاك والفناء.

وكما يجب الحفاظ على البدن من الاضرار، كذلك يجب الحفاظ على الروح ـ التي بها صار الانسان سيد الكائنات ـ وانقاذها من الهلاك الابدي، وأول ما ينقذ الروح هو التوبة والاستغفار.

ان التوبة بمنزلة الدواء الذي ينبغي للسالك ان يتناوله باشراف خاص من طبيب، وبشكل يتناسب ووضعه الروحي ونسبة الابتلاء بالرذائل، حتى يتماثل للشفاء بشكل تدريجي، ويكون قادراً على الدخول في المرحلة التالية، قال تعالى: **﴿ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم﴾**[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«لكل داء دواء، ودواء الذنوب الاستغفار»**[٢].

سمع الرضا عليه السلام بعض أصحابه يقول: لعن الله من حارب علياً عليه السلام فقال له: **«قل: إلاّ من تاب وأصلح، ثم قال: ذنب من تخلف عنه ولم يتب أعظم من ذنب من قاتله ثم تاب»**[٣].

ان التوبة والاستغفار يعملان على تطهير الروح، وان أي اهمال في ذلك يؤدي الى زيادة الادران وموت القلب، فلا يتأثر بعدها بالحق، فلا يستوعب اللذات المعنوية والروحية، ولذلك قال الامام الصادق عليه السلام: **«كان أبي يقول: ما من**

---

١). الزمر/ ٥٣.
٢). بحار الانوار، ٢٧٩/٩٠.
٣). وسائل الشيعة، ٣٣٥/١٥، الحديث ٢٠٦٧٤.

شيء أفسد للقلب من خطيئة، إن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتىٰ تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله»[١].

أي أن القلب بتأثير الذنوب والمعاصي يصاب بالصدأ حتىٰ يغدو هذا الصدأ جزءاً منه، فلا يستبين فيه الضياء والنور، على الخصوص اذا كان سبب التهاون في الاستغفار والتوبة هو استصغار الذنب، الذي هو في ذاته ذنب عظيم، قال الامام علي عليه السلام: **«أشدّ الذنوب ما استخف به صاحبه»**[٢].

وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بأرض قرعاء، فقال لأصحابه، **«ائتونا بالحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، قال: فليأت كل انسان بما قدر عليه، فجاؤا به حتىٰ رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال صلى الله عليه وآله: هكذا تجتمع الذنوب، اياكم والمحقرات من الذنوب؛ فإنّ لكل شيءٍ طالباً، الا وان طالبها يكتب ﴿ما قدّموا وآثارهم وكل شيءٍ احصيناه في امام مبين﴾**[٣].

وفي حديث آخر: **«ان المؤمن يحسب ذنبه جبلاً فوق رأسه، ويظن انه واقع عليه، والمنافق يحسبه ذبابة على أنفه»**[٤].

ان المؤمن يدرك عظمة الباري تعالى، فلا محالة سوف يستعظم ذنبه وان كان صغيراً؛ لأنه تمرّد على عظيم.

ان تعظيم الذنب يوجد نفرة وكراهة في القلب تجاه فعل المعاصي مما

---

١). الكافي، ٢/٢٦٨، الحديث ١.
٢). نهج البلاغة، ص ٥٥٩، الحكمة ٤٧٧.
٣). جامع السعادات، ٣/١٠٠.
٤). جامع السعادات، ٣/١٠٠.

يحول دون تأثير ظلمة الذنوب على القلب.

التوبة النصوح

بما أن التوبة لا تحدث الا مرة واحدة في العمر، لذا على العبد ان يدقق فيها حتى تقع تامة وصحيحة، ولابد ان تصدر عقيب اليقظة وتسمى بـ(التوبة النصوح).

أي ان السالك بعد أن يفيق من غفلته، يدرك النعيم الذي اضاعه، ويستبين له تخلّفه عن قوافل السالكين، فيجدّ في ايصال نفسه الى قافلتهم، ويبحث عن اقرب السبل للحوق بهم، وهنا قطع الله على نفسه وعداً لمن يتوب توبة نصوحاً ان يهديه، فقال: **﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم ان يكفّر عنكم سيئاتكم﴾**[1].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

عن أبي صباح الكناني قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل **﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً﴾** قال: «**يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه**»[2].

سأل معاذ بن جبل رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هي التوبة النصوح؟ فقال: «**ان لا يعود المذنب الى ذنبه كما لا يعود الحليب الى الضرع**»[3].

التوبة النصوح هي التي تكون خالصة لله، والتي لا يشوبها غرض آخر من

---

١). التحريم/ ٨.
٢). اصول الكافي، ٤٣٢/٢، الحديث ٣.
٣). مجمع البيان، ٣١٨/١٠.

قبيل المال والرياء والجاه أو الخوف من السلطان، أو عدم القدرة عليه أو عدم توفر أسبابه.

حينما يتوب السالك من جميع ذنوبه، عليه أن يثبت على توبته حتى آخر العمر، وأن يسعى الى تدارك ما فاته، وان لا يصدر منه ذنب آخر، هذه هي التوبة النصوح التي تجعل من العبد ذا نفس مطمئنة تعود الى ربها راضية مرضية.

إلقاء الذنوب على الآخرين

من الصفات القبيحة التي ورثها الانسان من الشيطان تحميل الآخرين تبعة ذنبه، فهو لا يمتلك الشجاعة الكافية لأن يتحمل أوزاره، ولو تقبل كل واحدٍ منا أخطاءه لزال معظم النزاعات في المجتمع. ولذلك تجد أن الشيطان من أول لحظة ينسب اخطاءه الى الله تعالى: **﴿قال فبما أغويتني﴾**[1].

هناك اشخاص لا يقومون بالاعمال الصالحة، وحينما يُسألون عن سبب ذلك، يجيبون بأن الله لم يوفقهم، وبذلك يُغضبون الله تعالى؛ لانه خلق الانسان حرّاً ومختاراً، وما هذا التقاعس عن فعل الخير الا بسبب الكسل أو حبّ الجاه او المال او طلب الراحة، وهناك من ينسب عدم توفيقه الى مجالسته بعض الاصدقاء، او تناول بعض الأطعمة، او الى بعض الايام المشؤومة بزعمه، ومردّ ذلك كله الى الله تعالى.

---

١). الأعراف/ ١٦.

«قال الحسن بن مسعود: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام وقد نكبت إصبعي وتلقاني راكب وصدم كتفي ودخلت في زحمة فخرقوا علي بعض ثيابي، فقلت: كفاني الله شرك من يوم فما أيشمك، فقال عليه السلام لي: **يا حسن هذا وأنت تغشانا ترمي بذنبك من لا ذنب له**، قال الحسن فأثاب إليَّ عقلي وتبينت خطئي، فقلت: يا مولاي أستغفر الله، فقال: **يا حسن ما ذنب الأيام حتىٰ صرتم تتشاءَمون بها إذا جوزيتم بأعمالكم فيها**؟ قال الحسن: أنا أستغفر الله أبداً وهي توبتي يا ابن رسول الله؟ قال عليه السلام: والله ما ينفعكم ولكن الله يعاقبكم بذمها على ما لا ذم عليها فيه، **أما علمت يا حسن أن الله هو المثيب والمعاقب والمجازي بالأعمال عاجلاً وآجلاً**؟ قلت: بلى يا مولاي، قال عليه السلام: **لا تعد ولا تجعل للأيام صنعاً في حكم الله**، قال الحسن: بلى يا مولاي».

ان ما نلقاه في دنيانا وآخرتنا ما هو الّا جزاء أعمالنا، قال الله تعالىٰ: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**﴾[1].

ان عدم الاعتراف بالذنب وتحميل الآخرين تبعة المعاصي، هو في نفسه معصية تستوجب العقاب والعذاب من الله سبحانه.

ومن هنا فان الله تعالى يذكر قصة يونس عليه السلام في سورتي الانبياء والصافات ويقول: ان الذين لا يعترفون بذنوبهم لا تشملهم رحمة الله ومغفرته.

قال تعالىٰ: ﴿**وان يونس لمن المرسلين**﴾[2] فتوعد قومه بنزول العذاب،

---

١). الشورىٰ/ ٣٠.
٢). الصافات/١٣٩.

ولكنهم تابوا فرُفع عنهم العذاب، فهرب منهم خجلاً **﴿إذ أبقَ الى الفلك المشحون﴾**[١] فركب في سفينة مزدحمة بالناس حتىٰ اشرفت على الغرق، فاقترعوا حتىٰ يلقوا بمن تقع عليه القرعة في الماء**﴿فساهم فكان من المدحضين * فالتقمه الحوت وهو مليم﴾**[٢]، فذهب مغضباً وتصور أن الله لا يقدر عليه، ثم عاد اليه رشده **﴿فنادىٰ في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾**[٣]، **﴿فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه الى يوم يبعثون * فنبذناه بالعراء وهو سقيم * وانبتنا عليه شجرة من يقطين * وأرسلناه الى مئة ألفٍ او يزيدون﴾**[٤]. وما ذلك الا أنه أقرّ واعترف بذنبه.

فعلىٰ هذا الاساس تكون احدىٰ الشرائط المهمة لقبول التوبة هي الاعتراف بالذنب وعدم الالقاء باللائمة على الآخرين، وتنزيه الله وتسبيحه، كما صنع يونس عليه السلام اذ قال: **﴿لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين﴾**[٥].

روي أن عابداً عبدالله سبعين عاماً صائماً نهاره قائماً ليله، فطلب إلى الله حاجة فلم تقض، فأقبل على نفسه وقال: من قبلك أُتيت، لو كان عندك خير قضيت حاجتك، فأنزل الله إليه ملكاً فقال له: يا ابن آدم إن ساعتك التي أزريت

---

١). الصافات/ ١٤٠.
٢). الصافات/ ١٤١ ـ ١٤٢.
٣). الانبياء/ ٨٧ ـ ٨٨.
٤). الصافات/ ١٤٣ ـ ١٤٧.
٥). الانبياء/ ٨٧.

فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت[١].

طرق قبول التوبة

قلت للاستاذ: كيف أعرف ان توبتي قد قبلت؟

فقال: اذا تاب الانسان توبة صادقة وأفاق من غفلته، وادرك ما فاته من النعم بسبب تمرده على أوامر الله، فسوف يقبل الله توبته واستغفاره، قال تعالى: **﴿هو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾**[٢].

وقال أيضاً: **﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾**[٣].

وفي موضع آخر وعد الله المؤمن اذا عمل صالحاً ـ والتوبة من أفضل الاعمال الصالحة ـ ان يُعوضه ما فاته، ويبدل سيئاته حسنات، قال تعالى: **﴿يُبدل الله سيئاتهم حسناتٍ وكان الله غفوراً رحيماً﴾**[٤].

وقال أيضاً: **﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفِّر عنكم سيئاتكم﴾**[٥].

وقال أيضاً: **﴿ان الحسنات يذهبن السيئات﴾**[٦].

اما الذي تكون توبته مجرد لقلقة لسان، فلا يتوب توبة صادقة فهو هازيء

---

١). عدة الداعي، ١٧٧.
٢). الشورىٰ/ ٢٥.
٣). النساء/ ١١٠.
٤). الفرقان/ ٧٠.
٥). النساء/٣١.
٦). هود/١١٤.

بـالله عـز وجـل، قـال الامـام البـاقرعليه السلام: «المقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزيء»[١].

او يكون مثل ذلك الرجل الذي استغفر الله في حضرة أمير المؤمنينعليه السلام، فقال له الامـام: «ثكلتك أمك، أتدري ما الاستغفار؟ إن الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معانٍ:

أولها: الندم على ما مضىٰ.

الثاني: العزم على ترك العود اليه أبداً.

والثالث: أن تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتىٰ تلقىٰ الله أملس ليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي حقها.

والخامس: ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتىٰ تُلصِق الجلد بالعظم، وينشأ منهما لحم جديد.

والسادس: ان تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: استغفر الله»[٢].

ان الذي لا يتوب توبة صادقة لا تُقبل توبته بل لا يستشعر قبولها، قال الرسول الاكرمصلى الله عليه وآله: «الندامة توبة»[٣].

---

١). بحارالانوار، ٤١/٦، الحديث ٧٥.
٢). نهج البلاغة، ص ٥٤٩، الحكمة ٤١٧.
٣). وسائل الشيعة، ٦٢/١٦، ٢٠٩٨٦.

وقال الامام الباقرعليه السلام: «**كفىٰ بالندم توبة**»[١].

واذا استغفر السالك نادماً، سوف يؤدي به استغفاره الى توفيق العمل والعودة الى الباري تعالىٰ، قال الامام الصادقعليه السلام: «**من أعطي الاستغفار لم يحرم التوبة**»[٢].

وكلما اديتَ الاستغفار بكامل شروطه يقبل الله توبتك، قال اما العصر والزمان«عج»: «**فاذا استغفرت الله فالله يغفر لك**»[٣].

وقال النبي الاكرمصلى الله عليه وآله: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[٤].

والشيء الآخر انك بعد طيّ مراحل التوبة تستشعر خفةً عجيبة في نفسك، وكأنك أزحت عن كاهلك حملاً ثقيلاً.

ويزداد شوقك الى الكمالات فتأخذ في البحث عن اللذات المعنوية.

قال الاستاذ: ولكي لا تيأس من رحمة الله وتوقن بأن الله يقبل توبتك انقل لك هذهِ الرواية:

عن أبي عبد اللهعليه السلام: «**بينا رسول اللهصلى الله عليه وآله بين جبال تهامة، اذا رجل على عكازة، فقال له النبيصلى الله عليه وآله: من الرجل؟ قال: أنا هام بن هيم بن لاقيس السليم بن إبليس، قال: ليس بينك وبين إبليس غير أبوين قال: لا، قال: كنت ايام قتل قابيل هابيل أخاه، غلاماً أعلو الآكام، وأنهىٰ عن الاعتصام، وآمر بفساد الطعام، فقال**

---

١). بحارالانوار، ٦/٢٠.
٢). بحارالانوار، ٦/٢١، الحديث ١٢.
٣). الكافي، ١/٥٢١، الحديث ١٣.
٤). وسائل الشيعة، ١٦/٧٥، ٢١٠٢٢.

رسول الله ﷺ: بئس لعمر الله عمل الشيخ المتوسم والشاب المؤمل، فقال: دع يا محمد عنك اللوم والهتك، فقد جئتك تائباً وإني أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ولقد كنت مع ابراهيم فلم أزل معه حتىٰ ألقي في النار فقال لي: إن لقيت عيسىٰ فأقرئه منّي السلام، ولقد كنت مع عيسىٰ فقال لي: ان لقيت محمداً صلى الله عليه وعلى جميع الانبيائه فاقرئه مني السلام، وعلمني الانجيل، فقال رسول الله ﷺ: وعلى عيسى السلام ما دامت الدنيا؛ وعليك يا هامة بما اديت الامانة هات حاجتك، قال: علمني من القرآن، قال فأمر علياً عليه السلام أن يعلمه...»[1].

تخطيط لمراحل التوبة

بعد أن يدرك السالك حقيقة التوبة والاستغفار، يمكنه ان يعمل بهذه الارشادات حتىٰ يتطهر من ذنوبه، الا ان هذهِ الارشادات عامة، ولاجل اختلاف الناس في درجاتهم، فعلىٰ كل شخص ان يرجع الى استاذ او فقيه جامع للشرائط حتىٰ يعطيه التعاليم اللازمة.

ان بعض الذنوب يمكن تداركها من قبيل قضاء الصلاة والصوم، او حق الناس وما الى ذلك مما ينبغي على الشخص ان يسأل استاذه عن كيفية ادائه، وعليه ان لا يخفي عن الاستاذ شيئاً حتىٰ يتمكن من اصلاح نفسه وتدارك ما فاته بشكل أفضل.

---

١). البحار، ٣٩/٦٤، الحديث ٤، بصائر الدرجات ص ١٠١، الحديث ١٣.

وبما أن الانسان يتدرج في وصوله الى الكمال، فانه يحتاج الى تدريب وممارسة طويلة حتىٰ يصل الى هدفه بمرور الزمن، فكما انه يستحيل ان يتمكن شخص من رفع ثقل يزن مئة كيلو غرام الا بعد التمرين الطويل والعناء الشديد، يستحيل تزكية النفس دفعة واحدة، لان الروح مريضة، وتحتاج الى فترة طويلة من النقاهة حتىٰ تتماثل للشفاء الكامل، ولكي تكتسب الروح مناعة عن الرجوع الى الجرائم السابقة، لابد للانسان من العمل مدة طويلة بالارشادات اللازمة حتىٰ يستطيع من خلالها كبح جماح نفسه وتطهيرها من الأدران.

وبما ان بعض الروايات أولت العدد (٤٠) أهمية، فعلىٰ السالك ان يبقىٰ في هذهِ المرحلة أربعين يوماً، عاملاً بهذهِ الارشادات بشكل كامل ودقيق، وهي كالآتي:

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١ ـ ان يقرأ كل يوم في الاقل خمسين آية مع التدبر في معانيها.

٢ ـ ان يستغفر لكل واحدةٍ من جوارحه الاساسية.

٣ ـ ان يغتسل غسل التوبة.

٤ ـ ان يصلي صلاة التوبة والاستغفار.

٥ ـ ان يقرأ مناجاة التائبين للامام زين العابدين عليه السلام.

* * *

١ ـ ان يقرأ كل يومٍ في الأقل خمسين آية من القرآن:

قال الامام الصادق عليه السلام: «**القرآن عهد الله الى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم**

ان ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية»[١].

٢ ـ ان يستغفر لكل واحدةٍ من جوارحه الاساسية:

قال الامام جعفر الصادق عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوب الى الله ويستغفره في اليوم والليلة مئة مرة من غير ذنب، إن الله يخص أولياءه بالمصائب ليؤجرهم عليها من غير ذنب»[٢] وقال أيضاً: «إذا أكثر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته وهي تتلألأ»[٣].

٣ ـ ان يغتسل غسل التوبة:

قارف شخص الذنوب، فأمره الامام الرضا عليه السلام بان يغتسل غسل التوبة.

٤ ـ ان يصلي صلاة التوبة والاستغفار:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من عبدٍ اذنب ذنباً فقام فتطهر وصلى ركعتين واستغفر الله إلا وغفر له، وكان حقيقاً على الله أن يقبله، لأنه سبحانه قال: ﴿ومن يعمل سوءاً او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾»[٤].

---

١). أصول الكافي، ٦٠٩/٢، الحديث ١.
٢). وسائل الشيعة، ٨٥/١٦، ٢١٠٥١.
٣). أصول الكافي، ٥٠٤/٢، الحديث ٢.
٤). ارشاد القلوب، ٤٦/١.

٥ ـ أن يقرأ مناجاة التائبين:

ولابد ان يتدبر في معاني هذه المناجاة[١]، وعليه ان يخصص ثلاثة ايام ـ من هذه الاربعين يوماً ـ للتضرع والانابة الى الله حتىٰ يطمئن بأنّ الله قد غفر له ذنوبه.

وبامكانه في هذهِ الايام الثلاثة ان يصلي صلاة الامام الحجة «عج»، وان ينافي الحجة حتىٰ يشفع له عند الله.

وان يخصص ساعة من اليوم والليلة للتوسل باهل البيت عليهم السلام، وان يذرف الدمع على مصائبهم، وان يذكر على الخصوص مصيبة ابي عبد الله الحسين عليه السلام، وان يذهب الى مجالس ذكر المصيبة، حتىٰ يتمكن بواسطتها من استعطاف الله ويضمن قبول توبته واستغفاره.

قال الامام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام: «**فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام**»[٢].

وقال الامام الصادق عليه السلام: «**من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر**»[٣].

كما أن زيارة الائمة المعصومين عليهم السلام وابنائهم من أفضل الطرق الى بلوغ التسامي الروحي والمعنوي، فان بامكان السالك ان يحصل من مراقدهم عليهم السلام على الفوائد الروحية القصوىٰ؛ لان الائمة عليهم السلام أحياء ويستجيبون نداء زائريهم، وانهم لا

---

١). المناجاة الخامسة عشرة (مفاتيح الجنان).
٢). بحارالانوار، ٤٤/٢٨٤.
٣). بحارالانوار، ٤٤/٢٨٥.

يردون زائريهم، فهم وسيلة ارتباط البشر للوصول الى الافاضات الربانية، قال الامام عليه السلام في الرواية: «أبىٰ الله أن يجري الاشياء إلا بالأسباب»[١].

وان الائمة عليهم السلام هم تلك الاسباب التي يمكن التوصل بها الى جميع الامور سواء المادية او المعنوية.

واننا نقرأ في دعاء الندبة: «اين السبب المتصل بين الارض والسماء»[٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من زارني أوزار أحداً من ذريتي زرته يوم القيامة فأنقذته من أهوالها**»[٣].

عن زيد الشحام قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار أحداً منكم؟ قال: «**كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله**»[٤].

وعن صفوان الجمال عن الامام الصادق عليه السلام عن أبائه عليهم السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **ان ابني هذا الحسين يقتل بعدي علىٰ شاطىء الفرات، فمن زاره واغتسل من ماء الفرات تساقطت خطاياه كهيئة يوم ولدته أمه**»[٥].

قال الرضا عليه السلام: «**لا تشد الرحال إلى شيء من القبور إلا الى قبورنا، ألا وإني مقتول بالسم ظلماً ومدفون في موضع غربة، فمن شد رحلة إلى زيارتي استجيب دعاؤه وغفر له ذنبه**»[٦].

---

١). بصائر الدرجات، ص ٦.
٢). مفاتيح الجنان، دعاء الندبة.
٣). كامل الزيارات، ص ١١.
٤). كامل الزيارات ص ١٥٠.
٥). مصباح المتهجد، ص ٧١٨.
٦). بحارالأنوار، ٣٦/٩٩، الحديث ٢٢.

وعن الامام الجواد عليه السلام: «من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبنى الله له منبراً في حذاء منبر محمد وعلي عليهما السلام حتى يفرغ الله من حساب الخلائق، فرأيته وقد زار فقال: جئت أطلب المنبر»[١].

وقال الامام موسى بن جعفر عليه السلام: «من لم يقدر على زيارتنا فليزر صالح إخوانه يُكتب له ثواب زيارتنا، ومن لم يقدر أن يصلنا فليصل صالح إخوانه يكتب له ثواب صلتنا»[٢].

وعن محمد بن مسلم: قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الموتى نزورهم؟ قال: نعم. قلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم فقال: «أي والله إنهم ليعلمون بكم ويفرحون بكم ويستأنسون إليكم»[٣].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا زرتم موتاكم قبل طلوع الشمس سمعوا وأجابوكم وإذا زرتموهم بعد طلوع الشمس سمعوا ولم يجيبوكم»[٤].

ومن جملة الامور التي ينبغي للسالك ان يهتم بها كثيراً أداء الصلاة اليومية صحيحة وفي أوقاتها، حتى يتوصل بذلك الى تدارك ما فاته، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من صلاة يحضر وقتها الا نادى ملك بين يدي الناس: أيها الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم»[٥].

---

١). الكافي، ٤/٥٨٥.
٢). التهذيب، ٦/١٠٤، الحديث ١.
٣). وسائل الشيعة، ٣/٢٢٢، ٣٤٦٣.
٤). مستدرك الوسائل، ٢/٤٨٤، ٢٥٢٦.
٥). من لا يحضره الفقيه، ١/٢٠٨، ٦٢٤.

وقال الامام الباقر عليه السلام: «اعلم ان اول الوقت أبداً أفضل، فعجّل بالخير ما استطعت، وأحب الاعمال إلى الله عز وجل ما داوم العبد عليه وإن قلّ»[١].

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام بشأن قوله تعالى: **﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾**[٢]: «تأخير الصلاة عن أول وقتها لغير عذر»[٣].

ان من علامات الشيعي الحقيقي الصلاة في اول وقتها، وعليه حينما يحرص السالك على اداء الصلاة في وقتها سوف يدخل دائرة التشيع الحقيقي والولاء لأهل البيت عليهم السلام، وبذلك سيوثّق من ارتباطه بربّه وحبه لعبادته، ويتهيأ لأداء الفريضة في اول وقتها ليناجي ربّه، وسوف يتغلب على الشيطان مهما جدَّ في صدِّه عن هذا العمل؛ لأنّه مصمم على السير الى الله، قال الامام الصادق عليه السلام: «**اختبروا شيعتي بخصلتين، فإن كانتا فيهم فهم شيعتي: محافظتهم على أوقات الصلوات ومواساتهم مع إخوانهم المؤمنين بالمال، وان لم تكونا فيهم فاعزُب ثم اعزب ثم اعزب**»[٤].

وقال الصادق عليه السلام: «**امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها**»[٥].

وعنه عليه السلام أيضاً: «**أوّل الوقت رضوان الله، وآخره عفو الله، والعفو لا يكون الا**

---

١). الكافي، ٣/٢٧٤، الحديث ٨.
٢). الماعون/ ٤ ـ ٥.
٣). وسائل الشيعة، ٤/١٢٤، ٤٦٩١.
٤). جامع الأخبار، ص ٣٥.
٥). وسائل الشيعة، ٤/١١٤، ٤٦٥٦.

من ذنب»[١].

نجاح سالك

قال سالك الى الله: بعد أن اكملت سبعة وثلاثين يوماً من مراحل التوبة، كلفني أستاذي بأمرٍ خاص للايام الثلاثة المتبقية، وكان من جملة ما أمرني به أداء صلاة الامام الحجة المنتظر«عج» لكي أطهر نفسي بواسطة امام زماني من جميع الذنوب، فخلوت بنفسي حينما مالت الشمس للغروب، وتوسلت اليهؑ، وقلت لنفسي: كيف لي النجاة وانا أحمل كل هذهِ الاوزار؟ وكيف اواجه الله تعالى وانا مسربل بالذنوب؟ وأوشكت على اليأس، وفي اللحظة الاخيرة تذكرت ما شرحه لي استاذي حينما تلا قوله تعالى: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم﴾**[٢].

ونقل لي أيضاً، هذه الرواية التاريخية:

حدث جفاف في زمن موسىؑ فجاء الناس اليه، وطلبوا منه ان يخرج معهم للتضرع الىٰ الله وطلب المطر، فخرج موسىٰ مع قومه الى الصحراء وقد بلغ عددهم اكثر من سبعين ألفاً، ودعا الله، فلم ينزل المطر، فقال موسىٰ: لماذا لم ينزل المطر، فهل ضعفت منزلتي عند ربي؟ فجاء النداء: ان فيكم من عصىٰ الله اربعين سنة، فأمره بالخروج من جمعكم حتىٰ ينزل المطر، فصاح موسىٰ به، فقام العاصي

---

١). من لا يحضره الفقيه ١/٢١٧، الحديث ٦٥١.
٢). الزمر/٥٣.

ونظر الى ما حوله فلم ير شخصاً يهم بالخروج، فادرك أنه هو المقصود، فقال: ماذا أصنع؟ ان خرجت افتضح امري وان بقيت لم ينزل المطر، ثم استقر مكانه وتاب توبة صادقة وندم على ما صدر منه في سابق الايام، فلم يمضِ وقت حتىٰ تجمعت الغيوم وتراكمت وهطل مطر شديد، فسأل موسىٰ ربه عن ذلك؟ فجاءه الخطاب: «سقيناكم بالذي منعتكم به»، فقال موسى: الهي ارني ذلك العبد، فجاءه النداء: انه عصاني اربعين سنة فلم افضحه، فكيف افضحه الان وقد تاب الى، وأنا لا احب النّمام فكيف أكون نمّاماً[1]؟

وحينما تذكرت هذهِ الكلمات عاد الامل الى قلبي، فقلت لامامي«عج»: سيدي انت ملاذي وملجئي وشفيعي الوحيد، سيدي فاشفع لي وبدّل جميع سيئاتي الى حسنات، فاني تائب واعدك ان لا اعود الى سابق ذنوبي، سيدي لقد اعتذر اخوة يوسف عليه السلام اليه: **﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنّا لخاطئين﴾** فاجابهم يوسف عليه السلام: **﴿قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين﴾**[2]. وانّما تعلّم يوسف العفو منك يا سيدي فكيف لا تعفو عني.

وقد قال الاستاذ: ان ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام يطهر الذنوب، فأخذت أتذكر مصائب ابي عبدالله الحسين عليه السلام في صحراء كربلاء وذرفت الدموع حتى اخضلت لحيتي، وفقدت الوعي، وهنا تبدل الامل الى يقين، وفجأة أحسست وكأن شخصاً يبشرني بقبول توبتي، فأضاء قلبي نوراً، وشعرت بزوال الحزن من

---

١). جواهر الاخبار ثاقب المناقب، الثمرات ص ٣٧٩.
٢). يوسف/٩١-٩٢.

قلبي واعترتني خفة وكأن الذنوب التي اثقلت ظهري قد ازيحت عني بأجمعها، وزاد أملي بالمستقبل.

وحينما ذهبت الى استاذي بعد ذلك هنأني بقبول توبتي، ادخلني في مرحلة الاستقامة على التوبة.

مراحل الاستقامة

١ ـ الاستقامة.

٢ ـ الدعوة الى الصبر والاستقامة.

٣ ـ الثقة بالنفس.

٤ ـ عدم الخشية الا من الله.

٥ ـ الامل مع الجدّ والسعي.

٦ ـ تلقين النفس.

٧ ـ مخطط للوصول الى الاستقامة.

٨ ـ نجاح سالك.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الاستقامة

على السالك بعد اجتيازه مرحلة التوبة ان يوجد في نفسه عزماً راسخاً وقاطعاً لا يتبدل، وبذلك يدخل مرحلة الاستقامة، أي على السالك الى الله ـ من خلال الصبر والاستقامة ـ أنْ يتسلح بروح قوية تقف سدّاً منيعاً امام الصعاب، فلا يمكن لأي إغراء أن يتغلب عليها، حتى يصل الى هدفه ولا يتخلف في مسيرته الى الله.

ان السبب في عدم نجاح اكثر الناس في اعمالهم وحتى المسائل العبادية منها يعود الى انهم بمجرد ان تواجههم عقبة كؤود يتخاذلون أمامها ويحجمون عن مواصلة الطريق، غافلين عن ان النجاح انما يكون حليف المثابرين الذين لا يتزعزعون امام الصعاب، ويتذرعون بالصبر حتى بلوغ الهدف.

ولذلك تجد ان الله سبحانه وتعالى في هذهِ المرحلة يوصي الرسول الاكرمﷺ من أجل دفع عجلة الاسلام الى الامام بقوله: **﴿فاستقم كما أمرت﴾**[1].

---

١). هود/١١٤.

وهذا ما سار عليه الرسول الاكرمﷺ في تبليغ رسالته، فاستقام وصبر حتىٰ اجتاز جميع الموانع التي كانت تقف بوجه تقدم الدين حتىٰ أتمّ تبليغ الرسالة.

وعلى السالك ان يدرك هذهِ الحقيقة وهي: ان الصعاب والعقبات التي تواجهه ما هي الا ابتلاءات وامتحانات تفرض نفسها عليه لاختبار مدىٰ قابليته، حتىٰ يصل الى الدرجات العالية من الكمال بجدارة.

ورد في رواية ان رجلاً سأل موسىٰ عليه السلام ان يدعو له الله في قضاء حاجة، فشرع موسىٰ عليه السلام بالدعاء له، فاذا بحيوان مفترس قد هاجم ذلك الرجل وأخذ يقطع لحمه، فسأل موسىٰ عليه السلام ربّه عن سرّ ذلك، فقال تعالى: انه سألني مقاماً لا يمكنه بلوغه بما قدَّم من الاعمال، فابتليته بهذا الابتلاء حتى يمكنه الوصول الى ذلك المقام.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

إذن فعلىٰ السالك اذا بدأ عملاً ان ينجزه في رضا الله وان يؤديه بتمامه، واذا واجه عقبةً فعليه ان يستقبلها برحابة صدر حتىٰ يحالفه النجاح، ولا ينبغي له ان يسلك في كل يوم طريقاً جديداً، فيكون مصداقاً لما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: «**همج رعاع يميلون مع كل ريح**» لأن هذا النوع من الناس دائم الاحباط والاخفاق تصده حوادث الدنيا فلا يبلغ الغاية.

ان انعدام الثبات في الرأي، وعم الاستقامة والصبر هو الذي يصدّ الانسان عن السعي ومواصلة العمل، فلا يكون النجاح الّا حليف ذوي الاستقامة والذين يقفون كالطود الشامخ، ولا يتزعزعون، قال الصادق عليه السلام: «**المؤمن أصلب من**

الجبل، الجبلُ يستقل منه والمؤمن لا يستقل من دينه شيء»[١].

وقال أيضاً: «**المؤمن كجبل راسخ لا تحركه العواصف**».

إنَّ أولياء الله اذا أقدموا على عمل سواء اكان عملاً روحياً عبادياً، أو مادياً اجتماعياً انجزوه باستقامة وصبر حتىٰ يبلغوا النهاية، ولا يتركون مواصلة السير حينما يواجهون الموانع، بل يواصلون السير حتىٰ يقطفوا ثمار أعمالهم.

قال الامام الباقر عليه السلام: لما حضرت أبي علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمني الى صدره وقال: «**أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، وبما ذكر أن أباه أوصاه به: يا بني اصبر على الحق وان كان مرّاً**»[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من استدام قرع الباب ولَجَّ ولج**»[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الدعاء ترس المؤمن ومتىٰ تكثر قرع الباب يفتح لك**»[٤].

وأول خطوة يرفعها السالك الى الله في مرحلة الاستقامة كي يكون صبوراً على مكاره الدنيا هي أن يصحح اعتقاده بالله تعالى.

لانه اذا عرف ربه فسوف يتوكل عليه ويستمدّ العون منه، ويحصل على طمأنينة قلبية، فيتحمل المصائب برحابة صدر، ولا يتطرق اليه الحزن والخوف.

وقد قال تعالىٰ واصفاً هؤلاء الافراد: ﴿**ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**

---

١). الكافي ٢/٢٤١، الحديث ٣٧.
٢). اصول الكافي، ٢/٩١، الحديث ١٣.
٣). غرر الحكم، ص ١٩٣، الحكمة ٣٧٥٧.
٤). اصول الكافي، ٢/٤٦٨، الحديث ٤.

فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[١].

ولو أن العبد استقام وصبر على جميع الصعاب المادية وغير المادية فيكون أجره أعظم من أجر الشهيد.

فقد ورد في رواية: «ان الشهداء الذين استشهدوا من اجل رفع راية الاسلام خفاقة على ربوع الدنيا، ينادىٰ بهم يوم القيامة للدخول الى الجنة، فيدخلونها، الا انهم يواجهون فيها من هم في مقام ارفع منهم، فيقولون: ربنا أيتمنا أطفالنا وجُدنا بانفسنا، فبأي عمل تقدم هؤلاء علينا؟... فيأتي النداء: ان هؤلاء ضعاف آل محمدﷺ، انكم قتلتم بالسيف مرّة واحدة اما هؤلاء فقد كانوا يتجرعون مرارة البلاء مئة مرّة في اليوم، الا انهم استقاموا، فلا يمكن للشهيد ان يبلغ منزلتهم»[٢].

ان للصبر والاستقامة في حياة الانسان اقساماً متعددة، ولكن يمكن تقسيمها بشكل عام الى ثلاثة اقسام، كما صنع الرسول الاكرمﷺ حيث قال: **«الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتىٰ يردها بحسن عزائها، كتب الله له ثلاث مئة درجة، ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الارض، ومن صبر على الطاعة، كتب الله له ست مئة درجة، ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسع مئة درجة، ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين**

---

١). الاحقاف/١٣.

٢). خلاصة المنهج، تفسير سورة الزمر.

تخوم الارض الى منتهىٰ العرش»[١].

اذن فانك ترىٰ ان الصبر عن المعصية اسمىٰ مراتب الصبر، وأنَّ الله قد ضاعف اجر الصابر عنها.

وعن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الصبر صبران: صبر عند المصيبة، حسنٌ جميل، وأحسن من ذلك الصبر عندما حرم الله عليك، والذكر ذكران: ذكر الله عز وجل عند المصيبة، وأفضل من ذلك ذكر الله عندما حرم عليك، فيكون حاجزاً**»[٢].

ان مراحل الاستقامة تقوم على الأسس الآتية: (الصبر والاستقامة، والثقة بالنفس، وعدم الخشية الا من الله، والامل مع السعي والجد، وتلقين النفس) وسنقوم بتعريف كل واحدٍ منها الى السالكين الى الله.

الدعوة الى الصبر والاستقامة

روي أن الحسين بن علي عليه السلام جاءه رجل وقال: أنا رجل عاصٍ ولا أصبر عن المعصية، فعظني بموعظة، فقال عليه السلام: «**افعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت، فأول ذلك: لا تأكل رزق الله، وأذنب ما شئت، والثاني: اخرج من ولاية الله وأذنب ما شئت، والثالث: اطلب موضعاً لا يراك الله وأذنب ما شئت، والرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك وأذنب ما شئت، والخامس: إذا أدخلك**

---

١). أصول الكافي، ٢/٩١، الحديث ١٥.
٢). أصول الكافي، ١/٩٠، الحديث ١١.

مالك في النار فلا تدخل في النار وأذنب ما شئت»[١].

فكانت هذهِ الوصايا دواءً قدمه الامام الحسن عليه السلام لذلك الرجل حتىٰ يقوّي عنده ملكة الاستقامة، فعلىٰ السالك الى الله أن يتأمل في هذهِ الكلمات كي تقوىٰ عنده هذهِ الملكة.

كتب الامام جعفر الصادق عليه السلام كتاباً الى سادات بني هاشم عليهم السلام يغريهم فيه بما صاروا اليه بعد أن زجَّ بهم المنصور الدوانيقي في السجن، الا ان هذه الكتاب في الحقيقة يصلح ان يكون خطاباً لكل من اراد الوصول الى الكمال الروحي والرقي النفسي، ونص هذا الكتاب عن اسحاق بن عمار وهو كالآتي: (بسم الله الرحمن الرحيم: الى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه، أمّا بعد: فلئن كنت قد تفرّدت أنت وأهل بيتك ممن حُمل معك بما أصابك، ما انفردت بالحزن والغيظ والكآبة وأليم وجع القلب دوني، ولقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحر المصيبة مثل ما نالك، ولكن رجعت الى ما أمر الله جلَّ وعز به المتقين، من الصبر وحسن العزاء حين يقول لنبيه صلى الله عليه وآله: **﴿واصبر لحكم ربك فإنك باعيننا﴾**[٢] وحين يقول: **﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت﴾**[٣].

واعلم أي عمّ وابن عم ان الله جل وعز لم يبال بضر الدنيا لوليه ساعة قط، ولا شيء أحب اليه من الضر والجهد والبلاء مع الصبر، وانه تبارك وتعالى لم يبالِ

---

١). بحارالانوار ١٢٦/٧٥، الحديث ٧ عن جامع الاخبار.
٢). الطور/٤٨.
٣). القلم/٤٨.

بنعيم الدنيا لعدّوه ساعة قطّ، ولولا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أولياءه ويخوفونهم ويمنعونهم، وأعداؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون، ولولا ذلك لما قتل زكريا ويحيىٰ بن زكريا ظلماً وعدواناً في بغيٍّ من البغايا، ولولا ذلك ما قُتل جدّك علي بن أبي طالب عليه السلام لمّا قام بأمر الله جلّ وعزّ ظلماً، وعمك الحسين بن فاطمة عليها السلام اضطهاداً وعدواناً، ولولا ذلك ما قال الله جلّ وعزّ في كتابه: **﴿ولولا أن يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾**[1]، ولولا ذلك لما قال في كتابه: **﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾**[2] ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «لولا أن يحزن المؤمن لجعلت للكافر عصابة من حديد فلا يصدع رأسه أبداً» ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «ان الدنيا لا تساوي عند الله جلّ وعزّ جناح بعوضة، ولولا ذلك ما سقى كافر منها شربة من ماء» ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «لو أن مؤمناً على قُلّة جبل لابتعث الله له كافراً أو منافقاً يؤذيه» ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «انه اذا أحب الله قوماً أو أحبَّ عبداً صبّ عليه البلاء صبا، فلا يخرج من غمٍّ الا وقع في غم» ولولا ذلك لما جاء في الحديث: «ما من جرعتين أحب الى الله عز وجل ان يجرعهما عبده المؤمن في الدنيا؛ من جرعة غيظ كظم عليها، وجرعة حزنٍ عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء واحتساب» ولولا ذلك لما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يدعون على من ظلمهم بطول العمر

---

١). الزخرف/٣٣.
٢). المؤمنون/٥٦.

وصحة البدن وكثرة المال والولد، ولولا ذلك ما بلغنا أن رسول الله ﷺ كان اذا خصَّ رجلاً بالترحم عليه والاستغفار استشهد، فعليكم يا عمّ وابن عمّ وبني عمومتي وإخوتي بالصبر والرضا والتسليم والتفويض الى الله جل وعز، والرضا بالصبر على قضائه، والتمسك بطاعته، والنزول عند أمره، أفرغ الله علينا وعليكم الصبر وختم لنا ولكم بالاجر والسعادة، وانقذنا واياكم من كل هلكه بحوله وقوته انه سميع قريب، وصلى الله على صفوته من خلقه محمد النبي وأهل بيته)[1].

وعن الامام الصادق عليه السلام: «**ان الحرّ حرٌّ على جميع أحواله، إن نابته نائبة صبر لها، وأن تداكت عليه المصائب لم تكسره، وان أُسر وقهر واستبدل باليسر عُسراً، كما كان يوسف الصديق الامين عليه السلام لم يضرّ حريته ان استعبد وقهر، ولم تضرره ظلمة الجب ووحشته، وما ناله أن منَّ الله عليه فجعل الجبار العاتي له عبداً بعد أن كان مالكاً له، فأرسله ورحم به أُمّةً، وكذلك الصبر يعقب خيراً، فاصبروا ووطنوا انفسكم على الصبر تؤجروا**»[2].

كما قرأ الاستاذ يوماً سورة يوسف عليه السلام وذكّرني بصبر يوسف عليه السلام على الذنب مما كان نتيجته ان شمله الله برحمته، حتى شارفت القصة على الانتهاء، حيث غدا يوسف عليه السلام عزيز مصر، وجاءه اخوته من أرض كنعان الى مصر على أثر الجفاف الذي أصابهم؛ بغية الحصول على الطعام، فعرفهم وهم له منكرون، والتجأ يوسف عليه السلام الى مكيدة ليبقي أخاه وشقيقه بنيامين عنده، وفي المرة الثانية

---

١). بحارالانوار، ٢٩٩/٤٧.
٢). بحارالانوار، ١٣٩/٧٩.

جاؤوه وهم اكثر انكساراً وخضوعاً، والقرآن يصف انكسارهم هذا بقوله: **﴿يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة، فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين﴾**[1].

ولم يكن يوسف عليه السلام قد كشف هويته بعد، فقال لهم: **﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه إذ انتم جاهلون﴾**[2]، وعندها اصابهم الذهول فقالوا: **﴿أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا اخي قد منَّ الله علينا انه من يتَّقِ ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾**[3].

قال الاستاذ: والنتيجة التي نحصل عليها من هذهِ القصة العجيبة والمثيرة هي: ان كل من يسلك طريق تزكية النفس، ويصبر في هذا الطريق فسوف لا يضيع أجره، وعما قريبٍ سيدرك رحمة الله وثوابه.

الثقة بالنفس

والثقة بالنفس من السجايا الحسنة التي يتعيّن على السالك التحلي بها في مرحلة الاستقامة.

---

١). يوسف/٨٨. ولما بلغ الاستاذ هذهِ الآية ذكر للسالكين الى الله فائدة مهمة، مفادها انه بالامكان ان نناجي امام العصر والزمان«عج» من خلال هذهِ الآيات، لنظهر أيضاً عجزنا وتصاغرنا امام هذا العزيز حتى يعفو عنا كما صنع يوسف مع اخوته ـ هذا وان يوسف ما هو الا تلميذ في مدرسة صاحب العصر«عج» وان كل ما لديه من النعم هي بفضل الامام وفضل أجدادهِ الاطهار عليهم السلام ـ حتى نبلغ الكمال المعنوي بنحو أسرع.

٢). يوسف/٨٩.

٣). يوسف/٩٠.

ان الثقة بالنفس تعني: ان نعتمد على أنفسنا في انجاز الامور، وان نقف على ارجلنا ونقطع الامل بالآخرين، ان هذهِ الصفة الممدوحة تؤدي الى نجاح السالك وسعادته في الدنيا والآخرة، هذا وان الاتكال على الناس والتطفل عليهم والطمع فيما لديهم سبب في الحرمان المادي والمعنوي، يؤدي بالانسان الى أودية الذل والمهانة.

ان انعدام الثقة بالنفس والاتكال على الآخرين في بلوغ المقاصد دون استخدام الطاقات الكامنة التي منحها الله للانسان، والوقوع في احضان الكسل والخمول والبطالة، تؤدّي الى فشل صاحبها في الحياة وتخلفه وشقائه، مما يؤدي به الى الوقوع في شراك الندم والحسرة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**هيهات من نيل السعادة بالسكون الى الهوينا والبطالة**»[1].

وقال أيضاً: «**من أطاع التواني أحاطت به الندامة**»[2].

بينما نال ذوو العزم من الرجال نجاحاتٍ باهرة في حياتهم، وقطفوا ثمار ثقتهم بأنفسهم وجهودهم المتواصلة والمستمرة.

لو أن الانسان اعتمد على نفسه وواصل جهوده ولم يُقعده الخوف من الفشل عن مواصلة الطريق وتحمل المشاق والصعاب، فانه سوف لا يتراجع حتى يبلغ ذروة مدارج الكمال المنشود، وقد ورد عن كبار علماء الاخلاق: (ان لكل

---

١). غرر الحكم، ص ٣٢٦، الحكمة ٧٦٠٥.
٢). غرر الحكم، ص ٤٦٣، الحكمة ١٠٦٣١.

شيءٍ أساساً، وأساس الرقي والتقدم الثقة بالنفس والاعتماد عليها).

وقال الامام علي عليه السلام: «**المؤمن كالجبل الثابت لا تزلّه الرياح العواصف**».

ان الثقة بالنفس تعني: ان يعتمد الشخص في اعماله على طاقاته الروحية والجسدية، وان يبدأ أعماله بارادة قوية متغاضياً عن مساعدة الآخرين، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**العاقل يعتمد على عمله والجاهل يعتمد على أمله**»[1].

وقال ابو عبدالله عليه السلام: «**احمل نفسك لنفسك، فان لم تفعل لم يحملك غيرك**»[ج].

اذن فعلى كل شخص ان ينجز وظائفه الفردية والاجتماعية والدينية موقناً بالنجاح فيما اذا اعتمد على نفسه، ولو أن السالك لم يعتمد على نفسه ستضعف إرادته نتيجةً لاعتماده على الآخرين، وينفد صبره وتتحلل قواه، فيتغلب عليه اليأس والقنوط، فيركن الى التقاعس والكسل، فيصيبه الذلُّ والهوان، وينحرف عن الصراط المستقيم، لذا فعلىٰ السالك الى الله ـ في هذهِ المرحلة ـ ان يتحلّىٰ بالثقة بنفسه، وان يجدّ في تحصيله واثقاً بالنجاح وبلوغ الهدف، قال تعالىٰ: ﴿**وان ليس للانسان الا ما سعىٰ * وان سعيه سوف يُرىٰ * ثم يجزاه الجزاء الأوفىٰ**﴾[2]

ولهذا فقد عدّ علماء واساتيذ التزكية الاعتماد على النفس واحداً من شروط السير الى الله؛ لانه انما يمكنه تجاوز المشاكل والصعاب فيما اذا تحلّىٰ بهذهِ الصفة

---

١). غرر الحكم، ص ١٥١، الحكمة ٢٧٨١.
ج). أصول الكافي، ٢/٤٥٤، الحديث ٥.
٢). النجم/٣٩ـ٤١.

التي يقوم عليها استقلاله الفكري، وعندها سيصل الى هدفه المنشود مرفوع الرأس ويتسامى نحو التكامل الروحي.

ولابد من الالتفات الى هذه الحقيقة وهي ان صفة الاعتماد على النفس انما تنشأ من الاعتماد والاتكال على الله عز وجل، إذ على السالك ان يعلم بان الله تعالى قد خلقه ليصل الى مراتب القرب اليه، ومنحه جميع الامكانات التي يحتاجها لبلوغ هذهِ الغاية السامية، وسوف لا يتركه وشأنه.

ولذلك فعلى السالك ـ في هذهِ المرحلة ـ ان يكرر بعض الاذكار التي تشعره بعون الله وقوته من قبيل ذكر (ياقوي) وبذلك يستمد العون منه عز وجل، قال الامام امير المؤمنين عليه السلام: «من استعان بالله أعانه»[1].

وقال أيضاً: «من سأل غير الله استحق الحرمان»[2].

وجاء شخص الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أفقره عدم اعتماده على نفسه، فارشده الرسول صلى الله عليه وآله الى الاعتماد على النفس، فعمل الرجل بنصيحة رسول الله صلى الله عليه وآله فزال عنه فقره، وتفصيل القصة كالآتي:

«اشتدت حال رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله، فقالت له امرأته: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فسألته. فجاء الى النبي صلى الله عليه وآله، فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله قال: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله، فقال الرجل: ما يعني غيري، فرجع الى امرأته فأعلمها، فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله بشر فأعلمه، فأتاه، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من سألنا أعطيناه،

---

١). درر الحكم، ص ٢٠٠، الحكمة ٣٩٧٤.
٢). درر الحكم، ص ١٩٣، الحكمة ٣٧٧٥.

ومن استغنىٰ أغناه الله، حتىٰ فعل الرجل ذلك ثلاثاً، ثم ذهب الرجل فاستعار معولاً ثم أتى الجبل فصعده، فقطع حطباً، ثم جاء به فباعه بنصف مُدّ من دقيق، فرجع به فأكله، ثم ذهب من الغد فجاء باكثر من ذلك فباعه، فلم يزل يعمل ويجمع حتىٰ أيسر، فجاء الى النبيﷺ فأعلمه كيف جاء يسأله، وكيف سمع النبيﷺ، فقال النبيﷺ: قلت لك: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله»[١]

عدم الخشية الا من الله

على السالك الى الله ـ في مرحلة الاستقامة ـ ان يزكي نفسه حتىٰ لا يخشىٰ الا الله فلا يعصيه ولا يخرج من عبادته، قال تعالى: ﴿**تخشىٰ الناس والله أحق أن تخشاه**﴾[٢].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

على السالك الى الله ـ في مرحلة الاستقامة ـ ان يزكي نفسه حتىٰ لا يخشىٰ الا الله فلا يعصيه، ولا يخرج من عبادته، قال تعالىٰ: ﴿**تخشىٰ الناس والله أحق أن تخشاه**﴾[٣].

وقال أيضاً: ﴿**فلا تخشوا الناس واخشون**﴾[٤].

وقال أيضاً: ﴿**الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا**

---

١). اصول الكافي، ١٣٩/٢ باب القناعة، الحديث٧.
٢). الاحزاب/٣٧.
٣). الاحزاب/٣٧.
٤). المائدة/٤٤.

الله وكفىٰ بالله حسيبا»[١].

وقال أيضاً: **«الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل»**[٢].

قال الامام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: **«عجبت لمن خاف كيف لا يفزع الى قوله: «حسبنا الله ونعم الوكيل»»**[٣].

وبشكل عام فان الخوف على نحوين: خوف ممدوح وهو الخوف من الله، بان يخاف السالك فقط وفقط من الله وعذابه، قال تعالىٰ: **«وخافون ان كنتم مؤمنين»**[٤].

ومرد هذا الخوف في الحقيقة الى الذنب والمعصية التي تستوجب العقاب من الله سبحانه وتعالىٰ.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

والآخر: خوف مذموم وهو الخوف من غير الله، وهذه الصفة لا يمكن بحال ان توجد في المؤمن الحقيقي، قال الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله: **«لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلاً ولا جباناً»**[٥].

وقال الامام الصادق عليه السلام: **«... لا يكون المؤمن جباناً...»**[٦].

لان التناسب بين ايمان المؤمن وخوفه عكسي، فكلما زاد ايمانه قل خوفه.

---

١). الاحزاب/٣٩.
٢). آل عمران/١٧٣.
٣).مجمع البيان، الطبرسي ٣٤٦/٢.
٤). آل عمران/١٧٥.
٥). جامع السعادات، ٢٥٢/١.
٦). بحارالانوار، ٣٠١/٧٢.

كان أمير المؤمنين عليه السلام لا يضع درعاً على ظهره في الحروب وحينما سئل عن سبب ذلك، قال: لم أفر قط، ولن أفر، فلا حاجة بي الى درع يحمي ظهري.

وقال في موطن آخر: «**والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها**»[١].

ويعدُّ هذا النوع من الخوف من الرذائل الاخلاقية، ويعود سببه الى ضعف النفس، قال الإمام علي عليه السلام: «**شدّة الجبن من عجز النفس وضعف اليقين**»[٢].

ولذلك لا يمكن لمثل هؤلاء الافراد ان يبلغوا الكمالات والسجايا الانسانية المطلوبة.

قال أبو عبدالله: «**ان حبّ الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب**»[٣].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فمثلاً ترىٰ اكثر الناس يخافون من بعض الاشياء وليس لخوفهم منها سبب عقلائي، من قبيل خوفهم من الميت او الجن او الليلة الظلماء، وما الى ذلك من الامور التي يعود سببها الى ضعف النفس، وتؤدّي الى التخلف والفشل في الحياة وعدم بلوغ الشرف والكمال.

نعم هناك اقسام أخرىٰ للخوف لها جنبة عقلائية تحتّم على الانسان ان يحتاط منها، وهي خارجة عن محل بحثنا كالخوف من الحيوانات المفترسة أو

---

١). نهج البلاغة، الكتاب رقم ٤٥، ص ٤١٨.
٢). غرر الحكم، الحديث ٥٧٧٣.
٣). بحارالانوار، ٣٥٩/٧٠.

النار والكهرباء.

ولاجل توضيح الموضوع نبيّن أسباب الخوف حتى يتمكن السالكون الى الله بعد التعرف عليها ان يُعالجوا انفسهم منها:

١ ـ الجهل بالله، وخصوصيات الحياة.

قال الامام الصادق عليه السلام: «**من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا**»[١].

٢ ـ البعد عن الكمال الروحي، وتدنيس النفس بالرذائل، ونحن نقرأ في الدعاء: «**اللهم اني أعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن**».

٣ ـ التصورات الواهية والبعد عن الحقائق.

قال الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله: «**يا علي لا تشاورن جباناً، فإنه يضيّق عليك المخرج**»[٢].

٤ ـ التعلق بالدنيا ونعيمها الزائل وعدم التوكل على الله.

قال الامام الصادق عليه السلام: «**ليس شيٌ الا وله حدّ قال قلت: جعلت فداك فما حدّ التوكل؟ قال: اليقين. قلت: فما حدّ اليقين؟ قال: ألّا تخاف مع الله شيئاً**»[٣].

هذه هي العوامل المهمة التي تقذف الخوف في قلب الانسان، مما يؤدي الى إلحاق اضرار جسيمة بكيانه، من قبيل:

---

١). بحارالانوار، ٣٥٦/٦٧، الحديث ٣.
٢). خصال الصدوق، ١٠٢/١.
٣). الكافي، ٥٧/٢، الحديث ١.

١ ـ القضاء على عوامل التقدم والنجاح.

٢ ـ إضاعة الوقت.

٣ ـ التقليل من طاقة الانسان المعنوية.

٤ ـ القضاء على الكفاءات.

٥ ـ جعل الانسان في عزلة لسوء ظنه بالآخرين.

٦ ـ والأهم منها جميعاً انه يبتعد عن الكمال الروحي والمعنوي.

ولأجل ان يتغلب السالك على خوفه يتعيَّن عليه ان يفكر أولاً في الشيء الذي يخاف منه، ثم يتجه اليه، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**اذا هبت أمراً فقع فيه**»[١].

وعليه ثانياً: أن يستقيم أمام ذلك الشيء حتىٰ يمكنه التغلب عليه بسهولة.

قال الامام علي عليه السلام: «**اذا خفت صعوبة أمر فاصعب له يذل لك، وخادع الزمان عن إحداثه تهن عليك**»[٢].

وثالثاً: ان يكثر من ذكر الله ويستعينه، عالماً بانه وحده الذي يستحق العبادة والخشية، وعندها سوف لا يخاف السالك شيئاً بل يخافه الآخرون، فقد ورد عن الصادق عليه السلام انه قال: «**من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء**»[٣].

وحينما لا يخشىٰ السالك شيئاً سوىٰ الله، يكون خوفه من الله داعياً له الى

---

١). غرر الحكم، ص ٢٦٣، الحكمة ٥٦٦١.
٢). غرر الحكم، ص ١٠٢، الحكمة ١٧٧٨.
٣). الكافي، ٢/٦٨، الحديث٣.

عدم ارتكاب المعاصي والتمرد على أوامره، فلا يقع فريسة البؤس والشقاء، كما انه اذا اطاع الله وحده ولم يخضع لسلطان سواه فسوف يبلغ قمة السعادة ولا يخشى شيئاً، وان كان ذلك الشيء مثل الخشية على رزقه لليوم التالي، وعندها ينعم بهدوءٍ وطمأنينة كاملة، ويواصل طريقة ناعم البال في سيره الى الله عزّ وجل.

وقال الصادق عليه السلام: «**إن كان الخلف من الله عزّ وجلّ حقّاً فالبخل لماذا؟**»[1].

الامل مع الجدّ والسعي

انما الانسان حيّ بالامل، فلولا الامل لشُلت حركته.

ان الأمل هو الهدف الذي ينشد الانسان بلوغه، ولذلك تجده يكدح ليلاً ونهاراً من اجل تحسين حياته من الناحية الروحية او المادية، فترى التاجر يذهب الى متجره على أمل الحصول على الارباح، فيعمل دائباً ولا يسمح للخوف ان يتطرق اليه، بل يواجه المشاكل والعقبات ويتحداها.

ولذلك تجد الانسان مفعماً بالامل ما دام حيّاً، فهذه الحياة لا تنسجم مع اليأس والقنوط، إن اليأس مرض روحي فتاك يترك على الانسان من الآثار ما تتركه الآفات على النباتات.

هذا وان اكثر العظماء في العالم سواء أكانوا من علماء الدين أم من المخترعين والمكتشفين، انما بلغوا أهدافهم بالأمل والمثابرة، واذا واجهوا عقبة

---

١). بحار الانوار ١/١٩٠.

استقبلوها وثبتوا في مقاومتها دون ان يفقدوا الأمل بالمستقبل حتى يتذوقوا حلاوة الانتصار وبلوغ الهدف.

فعلى السالك الى الله ان يكافح هذه الرذيلة الروحية أيضاً، وان يبعد اليأس والقنوط عن نفسه، وان يواجه العوائق والمشاكل الاجتماعية او الروحية والشيطانية.

روى أحد كبار الشخصيات في المدينة المنورة انه افتقر بعد ان كان موسراً، فذهب الى الامام الصادق عليه السلام فرقّ لحاله وقال له: «**لا تجزع اذا ضاقت عليك الدنيا يوماً، فلطالما عشت منعماً، واعلم أن بعد كل شدة رخاء**»[1].

وقال تعالى: ﴿**ان مع العسر يسراً**﴾[2]. اذن فلا تيأس فان اليأس كفر، على أمل ان يغنيك الله في القريب العاجل.

طرق مكافحة اليأس والقنوط

ولكي يستسهل السالك الى الله التغلب على اليأس فعليه:

أولاً: ان يعلم ان هذه الدنيا الدنية مليئة بالابتلاءات والصعاب، فليس فيها الا من هو مصاب بنوع من هذه الابتلاءات.

ثانياً: ان ينظر في حياة الذين ابتلاهم الله وتعرّضوا للمشاق؛ حتى تسكن نفسه ويحمد الله على عدم ابتلائه بها.

---

١). الذنوب الكبيرة، ٨٦/١.
٢). الانشراح/٦.

ثالثاً: ان لا يقنط من رحمة الله أبداً، وان يكون على يقين من رحمة الله، قال تعالىٰ: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، ان الله يغفر الذنوب جميعاً، انه هو الغفور الرحيم﴾**[١].

وقد روي ان زكريا عليه السلام لم يقنط من رحمة الله حتىٰ نال مناه، وذلك أنه لم يكن له ذرية حتىٰ بلغ تسعاً وتسعين سنة من عمره الشريف، وكانت زوجته تصغره بسنة واحدة، فناجىٰ ربه بهذه الكلمات المذكورة في سورة مريم: **﴿قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربي شقياً * واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليّاً * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضيّاً﴾**[٢].

فاستجاب له ربه وبشره بغلام اسمه يحيىٰ.

رابعاً: قراءة حياة الذين اصيبوا بابتلاءات شديدة، فزالت عنهم ببركة دعائهم وتوسلهم بأهل البيت عليهم السلام.

قال الاستاذ: حينما كنت شاباً ادرس في حوزة قم، ابتليت بفقر مدقع، فتوكلت على الله الذي ضمن رزق طالب العلم، وبذلك رجوت فضل الله معتمداً في ذلك على قول أمير المؤمنين عليه السلام اذ يقول: «**يدعي بزعمه أنه يرجو الله، كذب والعظيم ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله**»[٣].

---

١). الزمر/٥٣.
٢). مريم/٤ ـ ٦.
٣). بحارالانوار، ٢٤٦/٦٩.

فكنت أدرس ولم يكن لي اسم في أي واحدٍ من مكاتب اعطاء الرواتب، فلما اشتدت بي الحال، ذهبت الى حرم السيدة فاطمة المعصومةعليها السلام، وعرضت عليها حاجتي واستشفعتها حتىٰ يغفر الله لي ما صدر مني من الذنوب.

وفي عصر يوم طرق بابي، وكان الطارق احد أولياء الله الذين كنت قد تعرفت عليهم في بعض المجالس، فقال لي: أجبرت نفسي على المجيء من طهران الى قم كل يوم في الاسبوع كي ازور السيدة المعصومةعليها السلام، واذهب الى مسجد جمكران لاتوسل بإمام زماني، وأردت ان استريح ساعة وأجدد الوضوء، فألهمني الله أن أفد عليكم، فقلت له: لقد اسعدتني وتفضلت عليّ، فجلس عندنا سويعات ثم غادر البيت، وبعد مغادرته لفت انتباهي مظروف وضعه ذلك الرجل تحت الفراش الذي اجلسته عليه، ووجدت فيه مقداراً من النقود، فعلمت انه اراد بذلك ان لا يخجلني باعطائي المال مباشرة، فكفتني تلك النقود اسبوعاً كاملاً، وفي الاسبوع التالي وفدَ علينا ذلك الشخص ثانيةً، واستراح عندنا وكرر وضع النقود تحت الفراش، برغم اني لم أشكُ فقري لأحد غير الله، الا ان ذلك الولي كان عالماً بحالي، فكان كلما جاء الى قم زارنا وترك لنا شيئاً من النقود، وفي بعض الاحيان كان يضع نقوداً اكثر، فيصادف ان يأتينا بعض الضيوف، حتىٰ أخذت اعرف الاسبوع الذي يأتينا فيه الضيوف من مقدار المبلغ الذي يتركه ذلك الشخص الصالح في بيتنا، واستمرت هذه الحالة حتىٰ سأل استاذي في بحث خارج الفقه عن واردنا الشهري فقيل له: اني لا استلم راتباً، فأخذ التقارير التي

كتبتها في بحث الاصول والفقه دون استشارتي الى المرحوم آية الله العظمى الحاج السيد حسين البروجردي حيث كنت ادرس عنده أيضاً، فأمر سماحته ان يُصرف لي راتب، فاخذت استلم الراتب في كل شهر، وبعدها لم يأتِ الينا ذلك الرجل.

خامساً: ان يعلم ان اليأس والقنوط من رحمة الله يوجب كفر الانسان واخراجه عن الدين، قال تعالى: **﴿انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون﴾**[1]، ومن نماذج ذلك حميد بن قحطبة الذي ارتكب جناية عظيمة بقتله ستين شخصاً من اولاد فاطمة عليها السلام، فيئس من رحمة الله تعالى، فكان من الكافرين، فقد روي انه حينما دخل الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام الى خراسان قصَّ عليه عبدالله النيشابوري قصة حميد بن قحطبة وقنوطه من رحمة الله، فقال الامام عليه السلام: **«الويل له، ان ذنب يأسه أعظم من ذنب قتله تلك الجماعة من العلويين»**.

أجل ان على السالك ان لا يسمح لليأس والقنوط ان ينفذ الى قلبه، وعليه في مرحلة الاستقامة ان يسعى ويجد مؤمّلاً رحمة الله في بلوغ مقاصده.

قال سالك الى الله: بعد أن قرأت كتب الاستاذ، فكرت في اصلاح نفسي وتزكيتها، فخطوت الخطوات الاولى في هذا الطريق، الا اني لم اكن واثقاً من بلوغ الهدف، بسبب الكمّ الهائل من المعاصي والذنوب التي ارتكبتها طوال حياتي، لكن اليأس لم يتغلب علي، فكنت دائم التوسل بأهل البيت عليهم السلام، واستمداد العون من امام العصر والزمان«عج» روحي لتراب مقدمه الفداء، وفي احدى الليالي

---

١). يوسف/ ٨٧.

أكثرت من التوسل وأجهشت بالبكاء حتىٰ غارت عيناي، فوجدت نفسي في صحراء ليس فيها الا طريق واحد قد عُبِّد حديثاً، فاخذت اركض عليه بأقصىٰ سرعتي، محاولاً عدم الانحراف عنه، وكان على جانبي ذلك الطريق كلاب سوداء ما أن رأتني حتىٰ شرعت بالنباح والعواء، فاصابني الرعب والفزع منها، الا انني لم أحفل بها، وواصلت الطريق وانا أردد قول: (يا صاحب الزمان) فلم تقترب مني ومكثت مكانها مكتفية بالنباح، حتىٰ ابتعدت عنها ووصلت الى بناء ضخم محاط بجدران تحول دون الدخول اليه، الا انني تسلقتها بصعوبة، ودخلت فناء ذلك المبنىٰ، فوجدته مبنياً على قمة جبلية تجري منه عين ماء زلال، فتوجهت الى تلك العين ووقفت وسط الماء وشربت منه، فوجدته شديد العذوبة، وعندها عدت الى وعيي، وبعد هذه المكاشفة ايقنت بأضرار اليأس وضرورة التوسل بأهل البيت عليهم السلام وامام العصر «عج» ارواحنا فداه، للوصول الى الهدف من خلال السعي والجدّ.

الايحاء

الايحاء عبارة عن تفسير يرتضيه الانسان دون دليل عقلي أو منطقي، وهو تصور يرتضيه الانسان بوصفه حقيقة وواقعاً.

هذا وان الناس تتفاوت درجاتهم في قبول الايحاء، فمثلاً اذا كنت في شارع وفجأة حدث صوت مزعج من جراء اصطدام سيارتين، فسترىٰ ردود فعل مختلفة

من قبل الناس، فبعضهم يقفز في الهواء، وبعضهم يزعق ويصيح، او ينخطف لونه، او يغمىٰ عليه، وما الى ذلك مما يعود الى اختلاف نفسياتهم شدّة وضعفاً.

وهكذا الامر بالنسبة الى مشاهدة الافلام، فتجد اختلافاً كبيراً في ردود الفعل لدىٰ المشاهدين.

اذن فكل شخص قابل للايحاء، وان اختلفت درجته، ولكن يجب تحديد هذه الإيحاءات ونسبتها الى معلومات الاشخاص حتىٰ تؤثر أثرها فيهم.

وتحضىٰ شخصية الموحي باهمية قصوىٰ، فمثلاً لو نصح شخص أمي شخصاً آخر بتناول دواء وشرح له فوائده، لا يؤثر فيه ذلك التأثير الذي يتركه شخص متعلم ودارس فيما لو وصف له ذلك الدواء نفسه، واذا كان الذي يصف الدواء طبيباً ستكون درجة الايحاء اكبر، وان لم يكن الدواء ذا علاقة بذلك المرض.

قال لي صديقي الطبيب: ذهبت في يوم الى قرية متنزهاً، فاصيب بعض من كان معي بصداع شديد، ولم يكن في تلك القرية مستوصف او صيدلية، فالتجأت الى الايحاء فعمدت الى كبسولة كانت معي، فافرغت محتوياتها وملأتها بالسكر وقدمتها له موضحاً خصائصها العلاجية المجربة، فأخذها مني وتناولها فوراً، ولم تمر سوىٰ لحظات قلائل حتىٰ سكن ألمه.

ثم قال صديقي الطبيب: يمكننا القول باطمئنان إن ٩٠٪ من الأمراض تنشأ من الايحاء وضعف الاعصاب، وبالامكان معالجتها عن طريق الايحاء نفسه دون

اللجوء الى العقاقير الكيميائية.

الايحاء والامراض الروحية

بالامكان معالجة اكثر الامراض الروحية خلال الايحاء، وبالامكان أيضاً ـ اذا أُنجز الايحاء بشكل صحيح ـ تنويم الشخص مغنطيسيّاً، ولكن كما أسلفنا يشترط في الايحاء عدّة امور: منها أنه لابد من تناسب الايحاء ومعلومات المريض وعقائده، فمثلاً اذا كان السالك يخشىٰ الظلام، فلابد من العثور على سبب خوفه هذا حتىٰ يتسنىٰ له ان يواجه ذلك الخوف بما يناسبه، كأن يستذكر أن أحداً أخافه في طفولته من الظلام، وبذلك يسعىٰ الى علاج نفسه ويتغلب على خوفه باتباع الخطوات الآتية:

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الاولىٰ: أن يؤكّد لنفسه انه لا يخاف من الظلمة أبداً.

الثانية: ان يستذكر سبب الخوف.

الثالثة: ان يخرُج الى الظلام ويقتحمه.

ان الايحاءات تقوم بتحريك الغدد الترشحية الداخلية عن طريق الأعصاب، مما يحملها على افراز بعض الهرمونات التي تؤثر في علاج المريض.

فمثلاً ان الجائع بمجرد سماعه اسم الاطعمة اللذيذة او تفكيره بها، يسيل لعابة وتبدأ معدته بافرازاتها، وبامكانه عن طريق الايحاء بانه ليس جائعاً أن يحول دون هذه الافرازات.

وعليه فلا يمكن لشخص ان ينكر حقيقة أن الايحاء يرفع من سيطرة الجهاز العصبي الذي يعمل تلقائياً.

اذن فيمكن التحكم بالجهاز العصبي من خلال الايحاء واخضاع جميع اعضاء الجسم للسيطرة الكاملة.

ويمكن علاج كثيرٍ من المرضىٰ بواسطة الايحاء، وبعد ذلك يمكن توجيههم الى الحقائق الصحيحة، بأن نثبت سلامة المريض أولاً عن طريق الايحاء، ومن ثم نعمد الى رفع ايمانه ومعرفته بربه حتىٰ يأمل رحمته، مما يؤدي الى شفائه الكامل من الناحيتين الروحية والجسدية.

وهناك شرائط للايحاء يمكن من خلالها ـ فيما لو توفرت ـ معالجة المريض بسهولة ويسر، وهي كالآتي:

١ ـ ان يكون المريض جاداً في علاج نفسه.

٢ ـ ان يحضىٰ الشخص الموحي لدىٰ المريض بمنزلة رفيعة.

٣ ـ ان يؤدىٰ الايحاء ببيان يؤثر في المريض، وهنا تختلف نسب التأثير في الافراد.

٤ ـ السيطرة على فكر المريض.

٥ - اجبار المريض على التمركز الذهني وعدم تشتيت افكاره.

٦ ـ ان يتم التعرف على المرضىٰ جيداً؛ لاختيار الايحاء المناسب.

٧ ـ اختيار الوقت المناسب للايحاء.

٨ ـ رفع المستوى الايماني بالله سبحانه لدى الشخص.

ويمكن الاستفادة من الايحاء لعلاج الافراد الذين يعانون ضعفاً روحياً شديداً، لرفع ضعفهم بالشرائط المتقدمة، كأن تخصص ساعات للشخص الذي لا يتمكن من مقاومة المشاكل أو يفقد توازنه تجاهها، والذين تتغلب عليهم الوساوس، وان تُلاحظ شرائطهم الروحية والنفسية، وان يؤمر كل واحد منهم بأن يجلس كل يوم في مكان منعزل مدة خمس دقائق في الاقل، ويلقن نفسه بهذه الكلمات: (انا انسان صبور ومقاوم ولا أخشى الصعاب).

وينبغي للشخص كلما أقدم على عمل معين ان يأخذ نتائجهُ الجميلة بنظر الاعتبار، وان يلقن نفسه امكان انجاز هذا العمل.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مخطط للوصول الى الاستقامة

يمكن للسالك الى الله في هذه المرحلة ان يعمل بهذه الارشادات حتى يغدو صبوراً ان شاء الله، ولابد له ان يكون متطهراً وان يكون قلبه حاضراً وان يجلس في مكانٍ منعزل كي لا تتشتت افكاره.

١ ـ ان يتلفظ في كل يوم باسماء الله التي تفيد معنى الاستقامة والقدرة من قبيل: يا قوي، يا جبار، يا قادر، وان يلتفت الى معاني هذه الكلمات والى حاجته التي هي طلب الصبر والاستقامة.

٢ ـ ان يدعو كل يوم بدعاء التوسل بالأئمة المعصومين عليهم السلام وان يطلب منهم

العون في بلوغ غايته.

٣ ـ ان يداوم على قراءة هذه الآيات الشريفة وان يلتفت الى معانيها بدقة: **﴿ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وانا اليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾**[1].

٤ ـ ان يجلس كل يوم في مكانٍ منعزل مدة خمس دقائق في الأقل وان يلقّن نفسه الامور الآتية:

عليَّ أن اواجه جميع المشاكل وان اثبت كالجبل الشامخ.

لا يمكن لأيّ مصيبة ان تزعزعني.

انا شجاع ولا اخشى شيئاً.

يمكنني بمساعدة ربي ان اتغلب على جميع المشاكل.

سأصل الى هدفي وغايتي من خلال صبري واستقامتي.

وان يلتفت الى هذه الامور يومياً وفي جميع الاحوال والاعمال، وان يواصل أعماله العباديّة وغيرها بجدية كاملة.

٥ – ان يقرأ كل يومٍ سورة الكهف وان يتدبر في معانيها، وان يسأل الله من خلال هذه السورة ان يلهمه الصبر والاستقامة، وان يستلهم العبر من القصص التي يذكرها تعالى.

---

١). البقرة/١٥٥ ـ ١٥٧.

فمثلاً في هذه السورة نقل تعالىٰ قصة اصحاب الكهف وامتدحهم على صبرهم أمام دقيانوس (الملك الظالم الذي كان يدعي الربوبية) وبذلك عرضوا وجودهم الى الخطر، وعرّفهم بوصفهم نموذج الفتية الاحرار.

وكيف ان الله سبحانه شملهم برحمته لصبرهم واستقامتهم وثباتهم بوجه الباطل والظلم، وانجاهم من كل سوء حتىٰ وصلوا الى المقام الشامخ بان غدو من خواص اصحاب الامام الحجة«عج» روحي له الفداء وسوف يقاتلون بين يديه.

إذن فعلىٰ اثر الصبر والاستقامة في الدين يغمر الله السالك اليه برحمته ويوصله الى المقام المحمود.

كما ينقل سبحانه وتعالىٰ في سورة الكهف قصة رجلين احدهما غير مستقيم وضعيف الايمان مكبّ على الدنيا، وكيف انه يدخل جنته مزهواً ويلوم صاحبه على ايمانه... اما الآخر فقلبه مملوء بحب الله ويعتقد بالمعاد ويسوؤه ما عليه صاحبه من عدم الاستقامة، فيفارقه، ثم كان عاقبتهما أن ارسل الله على جنة الرجل الاول حسباناً، فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها من أمواله وممتلكاته، بينما أنعم على الآخر بنصره ورحمته.

إذن فالسالك الى الله يكون مشمولاً لبركات الله وعنايته اذا صبر واستقام، ويمكنه أيضاً ان ينجو من غضبه سبحانه.

كما تشرح هذه السورة نفسها قصة ذي القرنين وتعلم الواعين من البشر كيفية بلوغ الاهداف عن طريق الجدّ والاستقامة مهما كانت صعوبة هذه الاهداف،

كما حصل لذي القرنين؛ اذ مكّن له الله في الأرض بسبب استقامته ومثابرته، حتىٰ جعله النموذج البارز من الذين مكنهم وأعطاهم القدرة والاستقامة.

وفي السورة نفسها أيضاً قصة موسىٰ عليه السلام والعبد الصالح الخضر عليه السلام وكيف يصحبه موسىٰ عليه السلام ليتعلم عنده، الا ان موسىٰ عليه السلام لم يستطع صبراً على ما بدر من ذلك العبد الصالح، مما ادىٰ بذلك العبد الى فراقه في منتصف الطريق بعد ان فسَّر له ما لم يستطع عليه صبراً.

روىٰ الامام الصادق عليه السلام عن ابيه عليه السلام عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله انه قال: «**رحم الله أأخي موسىٰ لو صبر على الخضر لأراه سبعين من العجائب**»[١].

وروي في المجمع عن الامام الصادق عليه السلام: «**كان عند الخضر عليه السلام علم لم يكن مكتوباً لموسىٰ عليه السلام في الالواح، وكان موسىٰ عليه السلام يتصور ان جميع العلوم التي يحتاجها موجودة في الالواح وفي التابوت، وقال في معنىٰ قوله تعالىٰ ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾[٢] ان الله اعطاه جزءاً من علمه الغيبي**»[٣].

وبذلك أراد الله سبحانه ان يُبين لموسىٰ عليه السلام أنه لم يعط جميع العلوم.

ونتيجة هذه القصة ان على السالك ان يكون صبوراً امام جميع الصعاب والمشاكل، عالماً ان وراء كل المشاكل والصعاب حِكَماً توصله الى الكمال.

---

١). قصص الانبياء، ص ١٢١.
٢). الكهف/ ٦٥.
٣). قصص الانبياء، ص ٤٦٧.

نجاح سالك

قال سالك: حينما شارفت نهايات مرحلة الاستقامة، شاهدت في نفسي أثرها في جميع أبعادها، ولكن برغم ذلك كنت استشعر ضعفاً قليلاً في الدين، ولذلك كنت أسعى الى ازالته حتى اكون مستقيماً في ديني الذي لا ينفك عن ولاية أهل البيت عليهم السلام، فقد قال لي الاستاذ: ان احدى وظائف السالك الى الله في مرحلة الاستقامة ان يثبت على ولاية أهل البيت عليهم السلام؛ حتى يستشعر بذلك حلاوة الطاعة والولاية، وقد بين القرآن حلاوة هذه الاستقامة بقوله: **﴿وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماءً غدقاً﴾**[١].

وقد سئل الامام الصادق عليه السلام عن معنى هذه الآية، فقال: يعني لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء من ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماء غدقاً، بقول لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي الايمان بولاية علي والأوصياء[٢].

ولكي اطهر نفسي من هذا الضعف الروحي واثبت على الدين توسلت بأمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أسوة الصبر والاستقامة، وكنت على تلك الحالة من الخضوع والبكاء حتى تجلّت الدنيا امامي وكأني امام مشهد سينمائي، فرأيت نموذجاً من صبر أمير المؤمنين عليه السلام وهو يحمل الجسد الطاهر للزهراء البتول عليها السلام

---

١). الجن/ ١٦.
٢). أصول الكافي، ١/ ٢٢٠، الحديث ١.

متوجهاً نحو قبر الرسولﷺ وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله... لقد رأيت بعيني كيف تضرب ابنتك بالسياط، وكيف عصروها بين الحائط والباب، وكيف ضربها غلام آخر بجفنة السيف، وصبرت امتثالاً لامرك، والآنها انا ذا جئت بأمانتك التي اودعتها عندي لما وضعت يدها في يدي ليلة الزفاف... واذا سألتني هل ارجعتها سالمة؟ فاقول: ان امتك سلبت مني الاختيار، واسأل ابنتك الوافدة عليك فستخبرك بما فعل هؤلاء القوم وتخبرك بصبري، وهنا لم يتمالك أمير المؤمنينؑ من البكاء فاسند رأسه الى جسد فاطمة الزهراءؑ وهو ينشج نشيجاً عالياً.

وما أن شاهدت ذلك وجدت نفسي ملقىً على الارض كالمغمىٰ عليه، وقد تحلق الآخرون حولي يحاولون إعادتي الى الوعي، وهو يقولون: ماذا دهاك؟ ما هذا العناء الذي تكابده؟

وشيئاً فشيئاً عدت الى الوعي وأحسست بقوة عجيبة في نفسي، وبذلك كملت استقامتي، وقد تعلمت في تلك الليلة درساً عظيماً في الصبر والاستقامة من خلال توسلي بأمير المؤمنينؑ، وبحمد الله زال عني ما كنت استشعره من النقص في تلك المرحلة ببركة أمير المؤمنينؑ.

مرحلة الصراط المستقيم

١ ـ الصراط المستقيم

٢ ـ هل السبيل هو الصراط المستقيم؟

٣ ـ تعديل الغرائز او الافراط والتفريط.

٤ ـ يجب ان تكون الأعمال والعقائد واقعة على الصراط المستقيم

٥ ـ المحاسبة والمراقبة

٦ ـ النظم والانضباط

٧ـ نجاح سالك

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الصراط المستقيم

ان الصراط المستقيم هو: الطريق الذي يصل الانسان منه الى الله تعالى، وما هو الا طريق واحد، وقد فسرته المعاجم اللغوية بـ(الواضح من الطريق) وقد دعا الله سبحانه الانسان الى هذا الطريق في كثير من الآيات، منها: **﴿وان اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾**[1].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

اي: ان الطريق الوحيد الذي ينجي الانسان ويؤدي به الى السعادة هو اتباع الاوامر الثابتة في الشريعة الالهية، ورفض ما يقابل ذلك من عبادة الشيطان، قال تعالى: **﴿ألم أعهد اليكم يا بني آدم أنْ لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدوٌّ مبين﴾**[2].

وقال أيضاً: **﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾**[3].

وقال أيضاً في سورة الاعراف حكاية عن لسان الشيطان: **﴿لأقعدن لهم**

---

١). يس/ ٦١.
٢). يس/ ٦٠.
٣). البقرة/ ١٦٨.

صراطك المستقيم﴾[١].

وقال أيضاً في سورة أخرىٰ: **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾**[٢].

خطّ الرسول الاكرمﷺ يوماً على الارض خطّاً لاصحابه وقال: «**هذا طريق الله**» ثم خطّ خطوطاً كثيرة عن يمينه وشماله، وقال: «**وهذه طرق الشيطان حيث يدعو الناس الى طاعته**».

ان الاستقامة على الصراط المستقيم تحضىٰ باهمية قصوىٰ، ولذلك امرنا ان نقرأ في فاتحة الكتاب: **﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾**[٣] كل يوم عشر مرات في الاقل.

ان الذين يطغون ويتبعون خطوات الشيطان سيحل عليهم غضب الله، قال تعالىٰ: **﴿ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوىٰ﴾**[٤].

ومعنىٰ (هوىٰ): سقط من شاهق، ومعنىٰ (الضالّ) الوارد في سورة الحمد هو التائه عن الطريق الذي لا يتدبر معالمه، قال تعالىٰ: **﴿ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضلّ سواء السبيل﴾**[٥].

---

١). الاعراف/ ١٦.
٢). الانعام/ ١٥٣.
٣). الفاتحة / ٦ ـ ٧.
٤). طه/ ٨١.
٥). البقرة/ ١٠٨.

اذن فلابد للسالك الى الله ان يسير على الصراط المستقيم الذي عبّده الله لعباده الصالحين، وان يجتنب الدخول في صراط المغضوب عليهم، والضالين، كما قرأنا في سورة الحمد: **﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم﴾**[١]، وهم الانبياء وأئمة الهدىٰ عليهم السلام، الذين لو هدانا الله الى صراطهم فسنحشر معهم. وقد صرح القرآن بهذه الحقيقة وهي: ان المراد من الذين انعم عليهم الله هم الانبياء وأئمة الهدىٰ، قال تعالىٰ في سورة النساء: **﴿ومن يطع الله والرسول فاؤلئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسنَ أولئك رفيقا﴾**[٢].

قال الامام الباقر عليه السلام: «**أعينونا بالورع فإنه من لقي الله عز وجل بالورع كان له عند الله فرجاً، وإن الله عز وجل يقول: من يطع الله والرسول... ثم قال: فمنا النبي ومنا الصديق والشهداء والصالحون**»[٣].

نقل ابن شهر آشوب عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: (ان المراد من النبيين هو الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله والمراد من الصديقين علي عليه السلام، والمراد من الشهداء، علي عليه السلام وجعفر وحمزة والامام الحسن والحسين عليهم السلام)[٤].

ومن خلال الالتفات الى هذه الرواية وغيرها من الروايات في تفسير هذه الآية الشريفة يتضح ان المراد من **﴿أنعمت عليهم﴾** هم أئمة الهدىٰ عليهم السلام وان من

---

١). الفاتحة/ ٦ ـ ٧.
٢). النساء/ ٦٨.
٣). اصول الكافي، ٢/٧٨، الحديث ١٢.
٤). تفسير البرهان.

يطيعهم سيحشر معهم في الجنة بصريح الآية ٦٨ من سورة النساء.

ولذلك قال تعالىٰ في سورة الحديد: **﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم﴾**[١].

وعليه فان اتباع الرسول الاكرمﷺ واهل بيته واطاعتهم ما هو الّا سير على الصراط المستقيم، ولذلك قال تعالىٰ لنبيهﷺ: **﴿وإنك لتهدي الى صراط مستقيم﴾**[٢]، أي تدعوهم الى طاعتك وطاعة أهل بيتكعليهم السلام.

قال الامام الصادقعليه السلام في تفسير الصراط المستقيم: «**هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل وهما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدىٰ بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردىٰ في جهنم**»[٣].

وعن السجادعليه السلام انه قال: «**ليس بين الله وبين حجته حجاب، فلا لله دون حجته ستر، نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه ونحن تراجمة وحيه ونحن أركان توحيده ونحن موضع سرّه**»[٤].

وعن الامام الصادقعليه السلام في تفسير **﴿الصراط المستقيم﴾** ايضاً، قال:

---

١). الحديد/ ١٩.
٢). الشورىٰ/ ٥٢.
٣). معاني الأخبار، ص ٣٢، الحديث ١.
٤). معاني الأخبار، ص ٣٥، الحديث ٥.

«**الصراط المستقيم، أمير المؤمنين علي**عليه السلام»[١].

وفي الزيارة الجامعة: (انتم السبيل الاعظم والصراط الاقوم)[٢].

اذن يتضح من هذه الآيات والروايات ان الصراط المستقيم هو الاطاعة الكاملة لله، واتباع الانبياء والاوصياءعليهم السلام، والسير على الحدود الشرعية التي رسموها لنا، وقد صرح القرآن بحقيقة أن اتباع الانبياء والاوصياء هو الصراط المستقيم، في العديد من الموارد، ومنها ما قاله النبي ابراهيمعليه السلام لعمّه آذر: ﴿**يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً**﴾[٣].

ثم نصحه بهذه النصيحة: ﴿**يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصياً * يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً**﴾[٤].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقال تعالى في سورة غافر على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿**يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد**﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿**يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم**﴾[٦].

ومن خلال التدبر فيما تقدم من الآيات والروايات نعلم ان الصراط

---

١). معاني الاخبار، ص ٣٢، الحديث ٢.
٢). مفاتيح الجنان، زيارة الجامعة الكبيرة.
٣). مريم/ ٤٣.
٤). مريم/ ٤٤ ـ ٤٥.
٥). غافر/ ٣٨.
٦). النساء/ ٥٩.

المستقيم هو ولاية أهل البيت عليهم السلام، وقد أمرنا الله تعالى باطاعتهم.

وكلما وزن السالك الى الله أعماله بميزان أهل البيت عليهم السلام يكون قد سلك الصراط المستقيم، وبذلك لا يخشى أحداً حتى وان كلّفه ذلك حياته، كاصحاب الامام الحسين عليه السلام الأوفياء الذين بذلوا كل ما لديهم من أجله، فكانت عاقبتهم صلاحاً وفوزاً عظيماً.

وقد ورد في الرواية أن الرسول ناجى ربه فقال: «**رب اين الطريق اليك؟ فأوحي له: دع نفسك وتعال**».

وفي التاريخ الاسلامي الناصع كثير من الافراد الذين ضحوا بأنفسهم ليستقيموا على الصراط، حتى مدحهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من قبيل: (أويس القرني).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

كان الناس في واقعة صفين يأتون جماعاتٍ الى أمير المؤمنين عليه السلام يبايعونه ويلتحقون بجيشه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام في أحد الايام: سيبايعني في هذا اليوم مئة شخص، فجاء تسع وتسعون منهم حتى ارتفع النهار، وحان وقت استراحة أمير المؤمنين عليه السلام، الا انه استمر في انتظاره تحت حرارة الشمس.

قال ابن عباس: بدأ الشك يتسلل الى قلبي، اذ حتى ذلك اليوم لم يتخلف الواقع عن كلام امير المؤمنين عليه السلام.

فانتظر أمير المؤمنين حتى برز فجأة شخص (اويس القرني) فلما دخل على أمير المؤمنين عليه السلام، قال له الامام: ما الذي جاء بك؟ فقال: جئت مبايعاً، فقال

لهعليه السلام: وعلى ماذا تبايع؟ فقال: بمهجتي ـ أي بدماء قلبي التي لا بقاء لنفسي بعد اراقتها ـ ثم بايعه بكلتا يديه، وكان ذلك من مختصاته؛ اذ بايع سائر القوم بيد واحدة، وبعد ذلك توجه أويس القرني الى ساحة القتال واخذ يقاتل بسيفين أحدهما في يده اليمنىٰ والثاني في اليسرىٰ، وجاهد حتىٰ استشهد (على خطّ امام زمانه، وعلى الصراط المستقيم)، وقد أمسك الآخرون درعاً بيدهم اليسرىٰ يصونون بها أنفسهم، الا ان اويس القرني كان من الاستقامة على الصراط بحيث لم يكن له من همٍّ سوىٰ إمامه أمير المؤمنينعليه السلام.

هل السبيل هو الصراط المستقيم

اذا كان السبيل هو الصراط المستقيم، فلماذا جاء بصيغة الجمع في قوله تعالىٰ: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾** بينما الصراط المستقيم ليس الا طريقاً وسبيلاً واحداً؟

وجوابه: ان لفظ السبيل الوارد في الآيات هو الصراط المستقيم، الا أنه جاء على صيغة الجمع لاختلاف المؤمنين في وصولهم اليه، فان لكل واحدٍ منهم طريقه الذي يوصله الى الحق تعالى، الا أنها بأجمعها تصبُّ في الصراط المستقيم، ولذلك تجد أن الآيات التي ذكرت لفظ السبيل نسبته الى المؤمنين، قال تعالىٰ: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدىٰ ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه**

ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾[١].

وقال أيضاً: **﴿قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة﴾**[٢].

ويمكن ان يكون سبب مجيء (السبيل) على صيغة الجمع اختلاف افعال السالك العبادية، بان يكون كل حكم فرضه الله على عباده سبيلاً يوصله الى الكمال، فيتعدد السبيل من باب المجاز بتعدد الاحكام.

والنتيجة هي أن (السبيل) لا يختلف عن الصراط المستقيم، وان السبل تصبّ بأجمعها في نهاية الامر في الصراط المستقيم، قال تعالى: **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم﴾**[٣].

وانما تكون (السبل) هادية وموصلة للسالك الى الله فيما اذا كانت تصبّ في الصراط المستقيم، اي ان السبل مشروطة بالصراط المستقيم، اما الصراط المستقيم فلا يشترط بشيء؛ اذ من المحتمل ان تؤدي السبل الى غير الحق تعالىٰ وتوجب التنزل من مقام العبودية، وتؤدي في النهاية الى الانحراف والضياع، قال تعالىٰ: **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾**[٤].

والشيء المهم بالنسبة للسالك الى الله حتىٰ لا يقع في الافراط او التفريط

---

١). النساء/ ١١٥.
٢). يوسف/ ١٠٨.
٣). المائدة/ ١٥ ـ ١٦.
٤). الانعام/ ١٥٣.

هو ان يتخلص من الجهل؛ لأنه من الاسباب والعوامل الرئيسية في الانحراف عن الصراط المستقيم، فالجهل يحرف عقائد الفرد عن الاحكام، ويحرف افعاله واقواله أيضاً بل تفكيره عن الصراط المستقيم، حتى قال تعالى: **﴿فتفرق بكم عن سبيله﴾**.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا ترى الجاهل الا مُفرِطاً أو مُفرِّطاً**»[1].

تعديل الغرائز أو الافراط والتفريط

ان عدم السيطرة على الغرائز يؤدي بالانسان الى ارتكاب الجرائم واقتراف الموبقات، واذا لم تسلك متطلبات النفس الصراط المستقيم، فانها ستتحول الى حيوان جموح يقتحم بالانسان سبل المهالك ويسوقه نحو هاوية الانحراف فيقع في الافراط تارةً وفي التفريط اخرى، وقد عبر أمير المؤمنين عليه السلام عن الروح والقلب اللذين يعدّان من عجائب الخلقة: «**قد أودعت في هذا القلب الحكمة غرائز متضادة ومتصارعة فيما بينها، فاذا اطال امله اذله الطمع وان بخل ذل... وان يئس حزن... وان استاء غضب... وان مزح نسي ما ينبغي عليه تركه... وان خاف لم يتدبر طريق النجاة... وان أمن واطمأن سلبها بسبب جهله وغفلته... وان اصيب بمصيبةٍ فضحه الجزع... وان استغنى طغى... وان افتقر ابتلى... وان جاع اقعده الجوع... وان شبع آذته التخمة... فكل تقصير بشأن هذه الرغبات (تفريط) وكل قصور بشأنها**

---

١). نهج البلاغة، ص ٤٧٩، الحكمة ٧٠ من كلماته القصار.

(افراط) وكلاهما مفسدة»[١].

ولاجل التخلص من الافراط والتفريط، والسيطرة على الغرائز ووضعها في الطريق الصحيح الذي يؤدي الى السعادة والهداية والأمن، لابد من سلوك الصراط المستقيم، فانما يمكن أن تعدل هذه الغرائز فيما اذا وضعت على الصراط المستقيم، وقد اشار أمير المؤمنين عليه السلام الى هذا المطلب أيضاً بقوله: «**ان الطريق الوحيد الذي يمكنه القضاء على الصراع بين الرغبات النفسية ويضع كل واحدة منها في موضعها الصحيح هو ضبط وتعديل هذه الرغبات والغرائز والحدّ من التطلبات النفسية**»[٢].

وبسبب تعديل الغرائز والاهواء النفسية منح الله السير على الصراط المستقيم أهمية قصوى، وقد ورد في رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها**»[٣].

قلت لعالم: ماذا نفعل كي نصل الى الكمالات المعنوية والروحية؟ فأجاب: انصحك بشيءٍ جربته بنفسي، واذا عملت به فسوف تبلغ الهدف، وذلك من خلال كبح غرائزك والقضاء عليها، فلا تتركها تسير بك وفقاً لهواها، وان كانت حلالاً.

فسألته: ان كانت تلك الرغبات حلالاً وقد خلقها الله لنا فلابد ان تكون

---

١). نهج البلاغة.
٢). نهج البلاغة، الفيض، ص ١١٢٦.
٣). مستدرك الوسائل، ٣١٧/١١، ١٣١٤٢.

نافعة، فاذا لم يكن فيها ضرر روحي او جسدي كيف لا يمكنني ارتكابها؟ فعلي ان ارضي غرائزي عن الطريق الصحيح والمشروع لكي اتمكن من التغلب على أهوائي؟

فقال: ان هذه النصيحة ضرورية في تزكية النفس.

قلت: ان تزكية النفس تعني: ان اطهر نفسي من الاشياء التي حرمها الله، فلا يمكن ان يكون كلامك صحيحاً.

فلم يقتنع بكلامي، وقال: اذا أردت ان تسمع كلامي، فعليك ان لا تجادلني. ثم قال: مثلاً لكي تجتنب لغو الحديث او الحرام، فلابد ان تضع بعض الحصىٰ في فمك، فلا تتمكن من الكلام، او تتمكن منه بصعوبة، حتىٰ تمر عليك ايام وانت لا تتكلم مع شخص، وان كان كلاماً جيداً، لكي تعتاد على عدم الكلام، وكي لا تغتاب او تكذب او تتهم شخصاً، فعليك ان تبتعد عن الناس ولا تحدث احداً منهم، ولابد ان تنزوي عنهم، وأن تترك زوجتك أيضاً، ولكي تقضي على شهوتك، لابد ان تجتنب أكل الأطعمة اللذيذة، وان تذيق جسمك الالم، وان تبعده عن الشهورة بالعقوبة، وعدّد اشياءً اخرى كنماذج للتقوىٰ وتزكية النفس؛ لانه كان يرىٰ انَّ الوصول الى الله لا يمكن الا من خلال ترك المتطلبات النفسية تماماً، ولكني لزمت الصمت تأدباً واحتراماً.

وبعد ان تعرفت عليه جيداً فهمت معنىٰ تزكية النفس بشكل دقيق، كما فهمت أن الامور التي ذكرها لم تكن صحيحة؛ لان مجرد ترك الذنب لا يعدّ كمالاً،

اذ ما فائدة ترك الذنب ما دامت النفس لا تزال مريضةً، وبامكانها ان تطغىٰ في كل لحظة، إذن فعلىٰ السالك أن يعالج نفسه الجامحة والمصابة بالأدران وان يجعلها على الصراط المستقيم، حتىٰ يستغني عن مثل هذه الرياضات التي قد تكون مخالفة للشريعة الاسلامية المقدسة، وعلى فرض اننا لم نعالج أنفسنا واكتفينا فقط باعطائها المسكنات او منعناها من الذنب من خلال تحمل الآلام الشديدة، فكيف نستحق الدخول الى الجنة ومجالسة اهل البيت عليهم السلام؟ ولذلك قال الله تعالىٰ: **﴿وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين﴾**[١].

اذن فالكمال انما يحصل في النفس فيما اذا عالجناها وطهرناها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«ألا وإن الخطايا خيل شُمْس حمل عليها أهلها، وخُلعت لجمها فتقحمت بهم في النار، ألا وإنَّ التقوىٰ مطايا ذُلُل، حمل عليها أهلها، وأعطوا أزمّتها فأوردتهم الجنة»**[٢].

فهذه الكلمات صريحة في نسبة التزكية الى الروح والنفس، فلو امكن تربيتها كان بامكانها ايصال الانسان الى المقاصد السامية بلا حاجة الى عقوبتها وايذائها، والى ذلك اشار سبحانه بقوله: **﴿أفمن أسس بنيانه على تقوىٰ من الله ورضوان خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جرفٍ هارٍ﴾**[٣].

وبالالتفات الى الآيات والروايات المتواترة على السالك أن يطهر نفسه

---

١). آل عمران/ ١٣٣.
٢). نهج البلاغة، الخطبة ١٦، ص ٥٧.
٣). التوبة/ ١٠٩.

وروحه من الأدران، وان يزكيها حتى تغدو موضعاً للكمالات.

وطبعاً ان تزكية النفس بحاجة الى دروس وتمارين تعتمد الآيات والرويات، حتى تكتسب الروح ملكة التزكية الكاملة لتتحرك على الصراط المستقيم، ولابد لتلك الدروس والتمارين من استاذ مجتهد متكامل يستخرجها من الآيات والروايات ليقدمها الى التلاميذ.

فمثلاً قد حدَّد الله تبارك وتعالى للانسان حدّاً لإصلاح نفسه وتخليصه من الافراط والتفريط وضبط غرائزه في جميع شؤون الحياة، حيث قال: **﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾**[1].

وعلى المجتهد من خلال درايته واجتهاده ان يستخرج تلك الحدود، ليأخذ بنفسه وتلاميذه الى حدود عبودية الله.

ان (الحدّ) يعني الحائل والمانع بين شيئين، فالحائط مثلاً يحول دون وقوع المالكين في الاشتباه، ولذلك فقد وضع الله تعالى حدوداً لافعال العباد وكلامهم، اذا تعدوها فقد ظلموا انفسهم وانحرفوا عن الصراط المستقيم، فمثلاً قد حدد الله للنظر بالعين حدوداً من قبيل النظر الى الأرض والسماء والبحر والقرآن و... وان يفكر بعد هذا النظر ليكون على يقين من عظمة الخالق، بينما يحرم النظر الى الاجنبية وكتب الضلال والمناظر التي تثير الشهوة.

كما قد حدد الله حدوداً للّسان لا يحق له تجاوزها، فعن طريق اللسان

---

١). الطلاق/ ١.

يمكن للانسان ان يتعلم وان يعلِّم الآخرين، ويمكنه ايضاً ان ينقل مراداتـه الى الغير، وبذلك ينجز الكثير من حاجاته، ويجوز له ان يتكلم بكل كلام الّا ما منعه الشارع المقدس من قبيل: الكذب والغيبة والتهمة والسباب، فانها حدود الله التي اذا تجاوزها الانسان انحرف عن الصراط المستقيم.

ولو سألتم ما معنى الظلم الوارد في هذه الآية؟ وجوابه: ان كل ما ينحرف عن الصراط المستقيم يكون مجاوزاً لحدود الله، ويعود ضرره على الانسان نفسه، فيكون ظالماً لنفسه، ومثاله ما تقدم من نعمة العين والبصر، فانها لو استخدمت في النظر الى الحرام أدت الى حدوث ظلمة وسواد في القلب، قال الامام الصادق عليه السلام: **«النظر سهم مسموم من سهام ابليس»**[1].

وعندما يسوّد جميع القلب لا يغدو بامكان الروح ان تستمر في سيرها الى الله، ونيلها الكمالات المعنوية، وتحرم تلك النعم المعنوية والروحية مـما يـعد ظلماً للنفس وايقاعاً لها في حبائل الشيطان.

وكلما استيقظ الانسان من غفلته وبادر الى ضبط غرائزه وسار على الصراط المستقيم وابتعد عن الافراط والتفريط، سيكون ايمانه مستقراً ولا يفكر بعدها في الانحراف عن الصراط ولو لحظة واحـدة، قـال أمـير المـؤمنين عليه السلام: **«يا كميل انه مستقر ومستودع، فاحذر أن تكون من المستودعين، وإنما يستحق ان يكون مستقراً اذا لزمتَ الجادة الواضحة التي لا تخرجك الى عوج، ولا تزيلك عن**

---

١). الاخلاق، للسيد عبدالله شبر، الباب ٩.

منهج»[1].

عند ما يكون الايمان مستقراً يوصل صاحبه من خلال العمل باحكام الاسلام الصحيحة الى عبادة الله الكاملة، كصديق علي بن ابي حمزة، اذ يقول، كان لي صديق يعمل كاتباً عند بني امية، فقال لي يوماً: استأذن لي من الامام الصادق عليه السلام حتى اتشرف بخدمته، فطلبت له الاذن من الإمام عليه السلام فلما دخل سلم عليه وجلس، ثم قال: جعلت فداك، انا اعمل في ديوان هؤلاء القوم (بني امية) وقد اصبت أموالاً كثيرة منهم.

فقال الامام عليه السلام: لو لم يحصل بنو امية، على من يكتب لهم ويجمع لهم الاموال ويكثر من سوادهم لما غصبوا حقنا.

فقال الرجل: جعلت فداك، هل لي من نجاة؟

فقال الامام عليه السلام: هل تعمل بما اقول؟

فقال: نعم اعمل به.

فقال عليه السلام: تقوم الى كل ما حصلته منهم وتعرف صاحبه فترجعه اليه، وان تتصدق بما لم تعرف صاحبه، وعندها سأضمن لك الجنة.

قال علي بن حمزة: فأطرق صاحبي طويلاً ثم قال: جعلت فداك ساقوم بما اشرت عليَّ به.

ثم ذهبنا معاً الى الكوفة وتصدق بكل ما لديه حتى ما كان على جسده من

---

١). تحف العقول، ص ١٧٤.

الثياب، فاجتمعنا مع اخرين من اصحابه واشترينا له ثياباً ودفعنا له بعض الاموال، ولم يمضِ إلّا بضعة اشهر على ذلك حتىٰ مرض ذلك الرجل فكنّا نذهب لعيادته، وعدناه يوماً وكان يحتضر، ثم فتح عينه ولما رآني قال: (يا علي وفىٰ لي والله صاحبك) ثم اغمض عينيه وفارق الحياة، فدفناه.

ثم ذهبت الى الامام الصادق عليه السلام فما ان وقعت عينه علي حتىٰ قال: (وفينا والله لصاحبك).

فقلت له: والله هذا ما أخبرني به حين وفاته[١].

يجب ان تكون الاعمال والعقائد واقعة على الصراط المستقيم

على السالك في جميع افعاله وعقائده ان يكون تابعاً لاهل البيت عليهم السلام حتى يجعل نفسه على الصراط المستقيم، ليبلغ حدَّ العبودية، فقد ورد في الدعاء: (من اطاعكم فقد اطاع الله، ومن عصاكم فقد عصىٰ الله)[٢].

قال زرارة سمعت أبا جعفر وأبا عبدالله عليهما السلام يقولان: «**إن الله عز وجل فوض إلى نبيه صلى الله عليه وآله أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم، ثم تلا هذه الآية ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**»[٣].

---

١). سفينة البحار، ١/١٠٧.
٢). مفاتيح الجنان، الزيارة الجامعة الكبيرة.
٣). اصول الكافي، ١/٢٦٦، الحديث ٣؛ والآية في سورة الحشر/ ١٧.

قال الامام الصادق عليه السلام: «**الاوصياء هم ابواب الله عز وجل التي يؤتى منها، ولولاهم ما عرف الله عز وجل وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه**»[١].

وقد اعطاهم الله جعلَ الحلال والحرام، فاذا سلكنا طريقهم واتبعناهم سنكون من اهل الفوز والنجاة.

يجب ان يكون كلام السالك على الصراط المستقيم أيضاً

كما يجب على السالك ان تكون اعماله وافعاله على الصراط المستقيم، كذلك يجب ان يكون كلامه؛ لأن الالفاظ التي يستعملها الانسان تبيّن مقاصده ونواياه، ويمكنه أن يبين مراده بالفاظ جميلة ومعسولة، كما يمكنه اداء نفس المعاني باسلوب جلف وجارح.

ولذلك يمكن التعرف على شخصية الافراد من خلال الكلمات التي يستعملونها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**المرء مخبوء تحت لسانه**»[٢].

فعلى السالك الى الله ان يراعي العفة في كلامه، فلا يتكلم بكلام قبيح، فقد نهت أحاديث أهل البيت عليهم السلام عن استعمال بعض الالفاظ والعبائر، كما نهت عن الكلام البذيء والفاحش.

قال الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله: «**ان الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء قليل**

---

١). أصول الكافي، ج/١٩٣، الحديث ٢.
٢). نهج البلاغة، الحكمة ١٤٨، ص ٤٩٧.

الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له»[١].

وقال الامام الباقر عليه السلام: «**سلاح اللئام قبيح الكلام**»[٢].

وقال الامام علي عليه السلام لاصحابه: «**إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين**»[٣].

ولكي يحصل السالك على معرفة اكثر وان يتخلص من آفات اللسان، عليه ان يقرأ سورة الحجرات وان يتدبر في معانيها.

وينبغي على السالك ان لا يشتُم حتى أعداءه أيضاً.

ولابد من الالتفات الى حقيقة أن لعنَ أعداء الاسلام وأهل البيت عليهم السلام ليس من الفحش او الكلام القبيح بل هو علامة الايمان.

الّا أنّ استعمال الكلمات الدنيئة والقبيحة غالباً ما يحث الاعداء على استعمال تلك الكلمات نفسها، كردود فعل ضد المقدسات الدينية، حتى ان القرآن نهىٰ عن استعمال كلمة ربما استعملها الاعداء بمعنىً فيه اهانة للرسول الاكرم، فقال: ﴿**يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم**﴾[٤].

وذلك أنه في بداية الدعوة الاسلامية لم يكن بعض المسلمين على علم كامل بالاحكام الاسلامية، ولم يدركوا او يفهموا كلام الرسول حينما كان يبين لهم الحقائق الدينية، فيقولون له احياناً: راعنا يا رسول الله، اي راع مستوىٰ فهمنا وبين

---

١). بحار الانوار، ٢٠٦/٦٠، الحديث ٣٩.
٢). بحارالانوار، ١٨٥/٧٥، الحديث ١٤.
٣). نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٦.
٤). البقرة/ ١٠٤.

الكلمات بتأنٍ اكثر حتى نفهم ما تقول، مما شجع اليهود على استعمال هذه الكلمة في اهانة الرسول؛ لانها كانت تفيد معنىً بذيئاً عندهم، لذلك قالوا لبعضهم: اذا كنتم تشتمون محمداً ﷺ في الخفاء فبامكانكم بعد اليوم ان تشتموه في العلن، فنزلت هذه الآية الشريفة تنهى المؤمنين عن استعمال هذه الكلمة وتقطع الطريق على اليهود.

ولابد لنا من استلهام الدروس والعبر من هذه الاية، ونجتنب الكلمات القبيحة فلا نستعملها ولو ضد اعدائنا، فتجد ان معنى لفظة لم يكن في ذاته قبيحاً، الا انه لمجرد افادته معنىً قبيحاً في لغة اخرى، نهى الله المؤمنين عن استعماله، كي لا يهتك عرض المقدسات به.

«كما أن علياً عليه السلام سمع ذات يوم اثنين من خلّص اصحابه وهما حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يشتمان اهل الشام واصحاب معاوية، فارسل اليهما ينهاهما عن ذلك، فقالا: أوَ لسنا على الحق؟ فقال عليه السلام: نعم، فقالا: أوَ ليسوا على الباطل؟ فقال عليه السلام: نعم، فقالا: اذن فكيف تنهانا عن شتمهم؟ فقال عليه السلام: لا احب لكما ان تكونا سبابين، ولكن لو فضحتما طالح أعمالهم بصالح اعمالكم لكان افضل، وبدلاً من أن تشتماهم قولا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، واصلح ذات بيننا، واهدهم من ضلالتهم ليعرفوا الحق، فان هذا أحب اليّ، ولكم فيه خير وسعادة، فقالا نستمع الى نصحك ونعمل به»[1].

---

١). نهج البلاغة، للعلامة الخوئي، ج ١٣، ص ٩٤.

قال رسول الله ﷺ: «ان من شرّ عباد الله من تكره مجالسته لفحشه»[١].

قال سماعة: «دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال لي مبتدئاً يا سماعة ما هذا الذي كان بينك وبين جمّالك، إياك أن تكون فحاشاً أو سخاباً أو لعاناً، فقلت: والله لقد كان ذلك أنه ظلمني، فقال: إن كان ظلمك لقد أربيت عليه إن هذا ليس من فعالي ولا آمر به شيعتي استغفر ربك ولا تعد، قلت: أستغفر الله ولا أعود»[٢].

يجوز للسالك ان يتفوّه بكل كلام الا اذا حرّمه الشارع، وان يستقيم على الصراط المستقيم حتىٰ لا يغدو مستقراً على الحدود التي رسمها الشارع الاسلامي فحسب، بل يكون هادياً للناس الى الحق والحقيقة في كلماته وافعاله.

المحاسبة والمراقبة

ان المحاسبة والمراقبة امران في غاية الاهمية يهديان السالك الى صراط الدين المستقيم، وينجيانه من الانحراف وأحابيل الشيطان، ولأجل تسهيل عملية المحاسبة والمراقبة، على السالك قبل أن يأوي الى فراشه أن يجلس قليلاً ويحاسب نفسه على ما قاله أو فعله طيلة اليوم والليلة، فيشكر الله اذا كان على الصراط المستقيم، وان كان قد صدرت منه خطيئة او انحراف يستغفر الله من حينه، حتىٰ يشمله الله برحمته، وان يعاقب نفسه باستشارة الاستاذ الذي يحدد له نوعية تلك العقوبة.

---

١). مجموعة ورّام، ٢/٢٠٧.
٢). مجموعة ورّام، ٢/٢٠٨.

كثيراً ما يتفق ان يغفل السالك عن الامور التي تحرفه عن الصراط المستقيم بسبب المشاغل، ولاجل رفع هذه الحالة من النسيان على السالك ان يراقب نفسه طيلة اليوم والليلة مراقبة شديدة. يراقب كل كلمة أو حركة تصدر منه، كي لا ينحرف عن الصراط المستقيم، واذا صدر منه ما يحرفه عن الصراط فانه بسبب مراقبته لنفسه سيتذكره ولا يكرره، قال رسول الله ﷺ: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الاكبر**»[١].

وقال علي عليه السلام: «**من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خافَ أمِن...**»[٢].

نقل المرحوم المحدث الجليل الشيخ عباس القمي رحمه الله في سفينة البحار: كانت (ثوبة) تحاسب نفسها دائماً، وفي يوم عدت عمرها ستين سنة، فحولتها الى الايام فكانت ٢١٥٠٠، فقالت في نفسها: لو أني أذنبت كلَّ يوم ذنباً واحداً فكيف سأواجه ربي وأنا أحمل كل هذه الذنوب، فغشي عليها وماتت من حينها[٣].

قال سالك: كنت مشغولاً بمحاسبة نفسي أمتثالاً لاوامر استاذي العزيز، وفي اواخر الليل كنت على سريري مستقبلاً القبلة فاخذت أستعيد أعمالي في اليوم والليلة، وكنت كلما تذكرت عملاً صالحاً صدر مني هويت الى السجود شكراً لله، ثم تذكرت اني نظرت بالتذاذ الى محرم، فاخذتني الرعدة، ورأيت نفسي في

---

١). بحارالانوار، ٧٣/٦٧، الحديث ٢٦.
٢). نهج البلاغة، ص ٥٠٦، الحكمة ٢٠٨.
٣). سفينة البحار، ٤٨٨/٢.

صحراء المحشر وانا أُدفع الى الحساب، فاخذت دموعي تجري حتى قمت من شدة الالم، فلفت انتباهي كتاب (ملاقاة امام العصر«عج») من بين كتبي، فتناولته على نحو غير ارادي، وما ان فتحته حتى تجلت لي الملاقاة، وبعد أن سلمت على الامام«عج» قلت له: سيدي لقد اذنبت وذنبي كثير بالنسبة الى من يريد مثلي ان يكون واحداً من انصارك، ولكن ليس الذنب كله ذنبي، فان للمجتمع الذي أعيش فيه أثراً في ذلك ايضاً، فكثير من النساء لا يراعين الحجاب، ويخرجن متبرجات فيغرين الشباب ولو لحظة واحدة بالفحشاء والمنكر، ثم سجدت واخذت أردد: (يا سيدي العفو يا سيدي العفو) وبكيت كثيراً وتوسلت بإمام زماني روحي لتراب مقدمه الفداء حتى اخضل طرف عطائي، وعندها أُلهمت بان كفارة ذنبي ان أنظر في القرآن وأقرأ فيه، وكان من جملة ما أرشدني اليه استاذي في مرحلة الصراط المستقيم قراءة سورة يس فتناولت القرآن وقرأت فيه تلك السورة حتى بلغت قوله تعالى: ﴿**ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان**﴾[1] ثم قرأت ما تلاها حتى بلغ بي الخجل ان تمنيت ان تبتلعني الارض، اذ كيف امكنني ازالة كثير من الرذائل الروحية ولم اتمكن من كبح جماح نفسي، فارتكبت مثل ذلك الذنب العظيم، اذن فيتضح ان نفسي لا تزال مريضة والا لما ارتكبت هذه المعصية حتى لو قطعت إرباً، ولما اطعت الشيطان.

وفي تلك الليلة اعتراني اطمئنان نسبي على أثر توسلي بامام العصر

---

١). يس/ ٦.

والزمان«عج» وقراءة القرآن الكريم، فذهبت من الغد الى استاذي العزيز وشرحت له قضية محاسبتي لنفسي في الليلة السابقة، فامرني ببعض القضايا منها ختم القرآن مع التدبر في معانيه واهداء ثواب التلاوة الى السيدة نرجس ام الامام«عج»، فقمت بذلك وبحمد الله زالت تلك السحابة التي كانت مخيمة على روحي وكادت ان تحرفني عن الصراط المستقيم.

النظم والانضباط

ان من جملة الامور التي على السالك الى الله ان يلتفت اليها في مرحلة الصراط المستقيم ويطبقها في حياته مراعاة النظم والانضباط؛ اذ أنَّ له أثراً فعّالاً في تقدم السالك في هذه المرحلة؛ لان عمرنا في هذه الدنيا محدود، ولابد ان ينتهي في يومٍ من الايام، قال تعالىٰ: **﴿وخلق كل شيءٍ فقدره تقديرا﴾**[1].

اذن ففي هذه الفرصة القصيرة، لابد للوصول الى المقصد النهائي من تزكية النفس ان نبذل قصارىٰ جهدنا، ولا يتم ذلك الى من خلال النظم والانضباط في جميع شؤون الحياة، ولذا فقد شجع الاسلام على النظم في امور الحياة للوصول الى الهدف باقصىٰ سرعة ممكنة.

فلابد من تقسيم ساعات اليوم والليلة، وان نحدد وقتاً لكل عمل، سواء أكان عبادياً أو غير عبادي، ولأن عمر الانسان محدود، لابد لنا من التعرف على الاهم

---

١). الفرقان/ ٢.

والمهم، فنقدم الأهم ونؤجل المهم، ونلغي ما لا فائدة فيه سوى إهدار الوقت.

وكما اسلفنا فان الحياة محدودة، فلابد للسالك الى الله ان يغتنم الفرص وان يستفيد من جميع اللحظات في مرحلة الصراط المستقيم من خلال مراعاة النظم والانضباط، اذ ليس من المعلوم ان نحصل على تلك اللحظات مرة ثانية، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ان الفرص تمرُّ مرَّ السحاب، فانتهزوها إذ أمكنت في أبواب الخير وإلا عادت ندماً**»[١].

وقال أيضاً: «**الفرصة سريعة الفوت وبطيئة العود**»[٢].

وقال أيضاً: «**إضاعة الفرصة غصة**»[٣].

وقال أيضاً: «**من الخرف ترك الفرصة عند الإمكان**»[٤].

وقال أيضاً: «**شيمة الاتقياء اغتنام المهلة والتزود للرحلة**»[٥].

ولذلك كان اولياء الله يدققون في تقسيم اوقاتهم حتى لا تفوتهم هذهِ الفرص، ويستفيدون ما امكنهم من ساعات العمر ودقائقه الثمينة، وبذلك امكنهم اتمام مراحل التزكية والتحليق نحو الكمالات الروحية.

وقد ذكر عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله ان حياته كانت خاضعة للنظم والانضباط، فحينما كان يدخل بيته يقسم اوقاته الى ثلاثة اقسام: قسم للعبادة، وقسم لأهله،

---

١). غرر الحكم، ٢/٤٧٣، الحكمة ١٠٨١١.
٢). غرر الحكم، ص ٤٧٣، الحكمة ١٠٨١٢.
٣). غرر الحكم، ص ٤٧٤، الحكمة ١٠٨٣١.
٤). غرر الحكم، ص ٤٧٤، الحكمة ١٠٨٤٣.
٥). غرر الحكم، ص ٤٧٣، الحكمة ١٠٨٢٣.

وقسم لراحته، كما كان يقسم اوقات راحته بينه وبين الناس، فكان يسمح لهم بالدخول عليه لبيان حاجاتهم[١]، وكان بعضهم لا يصبر حتىٰ يخرج الرسول اليه، فكانوا ينادونه من وراء الحجرات حتىٰ نزل قوله تعالىٰ: **﴿ولو انهم صبروا حتىٰ تخرج اليهم لكان خيراً لهم، والله غفور رحيم﴾**[٢].

قال الامام الصادق عليه السلام: «إن في حكمة آل داود ينبغي للمسلم العاقل أن لا يُرىٰ ظاعناً إلا في ثلاث: مرمّة لمعاش، أو تزود لمعاد، أو لذة في غير ذات محرم، وينبغي للمسلم العاقل أن يكون له ساعة يفضي بها إلى عمله فيما بينه وبين الله عز وجل، وساعة يُلاقي إخوانه الذين يفاوضهم ويفاوضونه في أمر آخرته، وساعة يخلي بينه وبين نفسه ولذاتها في غير محرم، فانها عون على تلك الساعتين»[٣].

اذن فعلى السالك الى الله طبقاً لاوامر الاسلام ان ينظم امور حياته ويقسم ساعات عمره حتى لا تفوته الفرص، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن ليلك ونهارك لا يستوعبان لجميع حاجاتك فاقسمهما بين عملك وراحتك**»[٤].

وان بعض الناس يحكم تصرفاته انعدام النظم حتىٰ انه يبني حياته على اساس الصدف وضربات الحظ، او يقول: ان النظم عندي في انعدام النظم، ان هذا النوع من الناس قد غلبت عليه النفس الامارة بالسوء؛ لانه يركن الى الدعة وطلب الراحة، ولذلك تجده دائم التخلف، أو يقوم بعمل غير مضمون النجاح، وبذلك

---

١). المحجة البيضاء، ٢/١٦٠.
٢). الحجرات/ ٥.
٣). الكافي، ٥/٨٧، الحديث ١.
٤). غرر الحكم، ص ٤٨٠، الحكمة ١١٠٣٥.

يسير في حلقة مفرغة ويهدر الطاقة التي منحها الله له.

والخلاصة هي ان التدين يعارض انعدام النظم، حتى في فروع الدين، فمثلاً لو اراد الشخص ان يغتسل او يتوضأ على خلاف الكيفية التي بيّنها الشارع المقدس، يكون غسله أو وضوؤه باطلاً، وبعكسه او انجره كما اراده الشارع، فانه سيترك أثراً بناءً على روحه ويقع على (الصراط المستقيم) ويكون عمله مقبولاً وصحيحاً، فمثلاً بالنسبة الى مقدمات الصلاة اليومية هناك شرطان.

الاول: معرفة الوقت، **والثاني**: المحافظة على الاوقات الخمسة، ولهذا النظم أثر بنّاء في حياة الانسان من الناحيتين الفردية والاجتماعية؛ لان الوقت يعرفنا قيمة الحياة والوجود، ولو لم نلتفت الى هذه الحقيقة، نكون قد اضعنا هذه النعمة الالهية الكبيرة وهي الحياة.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

إن معرفة الوقت تبين قيمة حياتنا في اليوم والليلة، فان حقيقة وجودنا عبارة عن هذه القطعات الزمانية، ومن هنا كان (النظم في الحياة) من المسائل الاخلاقية المهمة في مرحلة الصراط المستقيم.

إن النظم والانضباط يشدّ الناس ببعضهم، فيحصلون من اعمالهم على افضل النتائج، ولا يتخبطون فيها خبط عشواء.

ان اكثر الامراض العصبية ناشيء من انعدام النظم في الحياة، فلو كان أفراد المجتمع سائرين على وفق النظام، سيكون ذلك المجتمع من افضل مجتمعات العالم؛ لان جميع افراده سيتمتعون باعصاب سالمة، وبذلك ستسير القوانين فيه

على ما يرام، كما ان اكثر الامراض الجسدية ناشئة من الامراض العصبية الناجمة عن انعدام النظم في شؤون الحياة.

ولو سيطر النظم والانضباط على حياة شخص، فانه سيمضي جميع ايامه بنشاط وهدوء وحيوية، ويكون قانعاً بنتيجة عمله؛ لانه سيبلغ ما يتمناه.

ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولديه المعصومين عليهما السلام والتي هي في الحقيقة وصية لجميع أفراد البشر: «أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوىٰ الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم»[١].

إن السالك الى الله حينما يفكر في النظم الحاكم على عالم الخلقة، فإنه مضافاً الى وصوله لخالقه ومعبوده، يتعلم أفضل الدروس في الاستفادة من هذا النظم في جميع نواحي الوجود، فيربي نفسه على هذا النظم والانضباط. قال تعالىٰ مخاطباً رسوله الكريم صلى الله عليه وآله: **﴿الذي خلق سبع سمٰوات طباقاً ما ترىٰ في خلق الرحمن من تفاوتٍ فارجع البصر هل ترىٰ من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾**[٢].

كثيراً ما يسأل الاخوة الذين دخلوا في مراحل التزكية: ماذا نفعل حتىٰ نوفق الى تزكية أنفسنا، ونصل الى أهدافنا عاجلاً؟

وجواب ذلك: ان اكبر عوامل التقدم هو النظم في جميع شؤون الحياة، إذ هناك ارتباط وثيق بين النظم والنجاح، وكلما سيطر انعدام النظم على حياة انسان

---

١). نهج البلاغة، ص ٤٢١، الكتاب ٤٧.
٢). الملك/ ٣ ـ ٤.

قل احتمال نجاحه، وعلامة مثل هؤلاء الاشخاص كثرة تضجرهم وقلة صبرهم.

ومن الامور التي تساعد على ايجاد النظم في الحياة وعلى السالك أن يهتم بها كثيراً هي المحاسبة والمراقبة، بان يجري عملية حسابية كاملة لأعماله في اليوم والليلة، قال رسول الله ﷺ: «**حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل ان توزنوا، وتجهزوا للعرض الاكبر**»[١].

وقال علي عليه السلام: «**من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن**»[٢].

فكلما شاهد السالك عدم انتظام في أعماله، عليه ان يحاول ضبطها وعدم تكرارها في اليوم التالي، وان يراقب أعماله جيّداً كي لا تخرج عن الصراط المستقيم.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وعليه أن يسعى الى أداء كل عمل في وقته حتى يستفيد من ايام عمره كثيراً، وان للمحاسبة والمراقبة فوائد كثيرة للسالك، منها: زيادة الاستقامة الروحية، ومنها: ايجاد قوة التركيز الفكري، فيتخلص من تشتت الحواس والضجر، فلا يهدُر وقته بلا فائدة ولا يتعب نفسه دون طائل، ولذلك فقد اهتم اولياء الله بنظم الامور، من خلال المحاسبة والمراقبة والسير على الصراط المستقيم.

اما الاعمال التي على السالك أن يؤديها في هذه المرحلة لتكون علاجاً يشفيه من الانحراف ان شاء الله فهي كما يلي:

---

١). بحارالانوار، ٧٣/٦٧، الحديث ٢٦.
٢). نهج البلاغة، ص ٥٠٦، الحكمة ٢٠٨.

١ ـ تلاوة سورة (يس) والتدبر في معانيها خصوصاً الآيات التي تدعو الانسان الى الصراط المستقيم، وكذلك الالتفات الى قصة (حبيب النجار) الذي لم يستطع الكفار ان يزلّوه عن الصراط المستقيم رغم كل الجهود التي بذلوها لذلك.

٢ ـ زيارة الامام ولي العصر«عج» الموسومة بـ (زيارة آل ياسين)؛ ليظهر المودة للساحة المقدسة ويستعينه في سلوك الصراط المستقيم.

٣ ـ ان يكثر من الاذكار المفيدة في هذه المرحلة، متدبراً معانيها، ويسأل الله ان يثبت قدمه على الصراط المستقيم، من قبيل: (يا عدل ويا حكيم) (يا هادي) (اهدنا الصراط المستقيم).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

نجاح سالك

قال سالك: ابتليت بمرض الوسواس، حتى كأنَّ الشيطان يحدثني حقيقة، وكنت من الغفلة بحيث كنت أطيع الشيطان بلا ادنى تأمل، وانا موقن من أني سائر على الصراط المستقيم، وبذلك كنت أهدر الكثير من وقتي في التطهير والوضوء.

وكنت يوماً في منزل الاستاذ، وكان هناك أيضاً أحد معارف الاستاذ الذي كان قد ابتلي بالوسواس اكثر مني، فكان في معاشرتي إياه اثر كبير في علاجي.

وفي ذلك اليوم اصيبت سبابتي بجرح، وسال منها شيءٌ من الدم، فذهبت لكي اطهر الجرح، فصادفني ذلك الشخص فصاح بي: احذر ان يصيب الدم شيئاً فتنجسه، فجاء الاستاذ على اثر صياحه وشاهد جرحي، فادرك اصابتي بمرض

الوسواس واصابة ضيفه به بدرجة اكبر، فقال باسلوب هادىء: لا شيء على الاطلاق، اسكب عليه مقداراً من الماء وكفى.

فقال ذلك الشخص: سيدي لقد شاهدت كيف يترشح الماء على ثيابه وهو يصب الماء على الجرح.

فقال الاستاذ: إنه طاهر، لا تؤخروا انفسكم، فمن قال ان الدم نجس؟! (قال ذلك حتى يعالج مرضنا الروحي)، ثم قال: ليس كل دمٍ نجس، وحتى لو فرضنا انه نجس، فمن قال ان الماء المتصل بالكر منجّس؟

ثم التفت الي قائلاً: يكفي، لا حاجة الى غسل يدك اكثر من اللازم، جفف يدك واتبعني الى الغرفة، فاطعتُ أمره، الا ان ذلك الشخص الآخر بقي واجماً، وأخذ بالابتعاد عني.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ثم ذكر الاستاذ شيئاً حول الوسواس وقال: لا ينبغي للانسان ان يعطي قياده للشيطان؛ لانه يمتلك عقلاً ويعرف الاحكام الشرعية، فعليه أن يسير في ضوئها.

ذات يومٍ مدح اصحاب الامام الصادق عليه السلام شخصاً على عقله ودرايته، ثم ذكروا انه مصاب بداء الوسواس.

فقال الامام عليه السلام: **فكيف يكون عاقلاً وهو يطيع الشيطان؟!**

اي ان العاقل لا يخضع لولاية الشيطان.

ثم قال عليه السلام: **هذا هو الافراط والتفريط**، الذي يحرف السالك عن الصراط المستقيم، والافراط يعني: ان تهتم بالامر اكثر من اهتمام الشارع المقدس به،

والتفريط: ان لا تبالي حتىٰ لو اصابت عين النجاسة جميع اجزاء جسمك وثوبك، وكلاهما خطأ، فالمتبع أرادة الشارع من الاحكام السهلة السمحاء حتىٰ لا ينحرف عن الصراط المستقيم.

وفي ذلك اليوم تلقيت درساً نافعاً من كلمات الاستاذ الحكيمة، وتمكنت بحمد الله من عدم الانحراف عن الصراط المستقيم، الا ان ذلك الشخص الآخر، لم يتأثر بكلمات الاستاذ؛ لأنه لم يكن قد استيقظ بعد من غفلته، ولم يُخضع نفسه لتربية الاستاذ.

ثم افاد الاستاذ أنه لمعالجة الشخص الوسواسي، في المرحلة الاولىٰ: لابد من تخليص المريض من الخوف من الشيء النجس والنجاسة، وفي المرحلة الثانية: نلفت انتباهه الى حكم الشريعة السهلة السمحاء، وفي المرحلة الثالثة: نعطيه الإرشادات الروحية والمعنوية حتىٰ يتغلب على هذا المرض الخطير.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرحلة المحبة

١ ـ المحبة

٢ ـ تنظيم المحبة

٣ ـ طرق تنظيم المحبة

٤ ـ ضبط المحبة

٥ ـ ازدهار المحبة

٦ ـ آثار المحبة

٧ ـ نجاح سالك

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المحبة

المحبة: هي الطاقة العظيمة التي تحرك الانسان في جميع شؤون الحياة ومظاهرها المختلفة.

المحبة: شعور بهيج تسهل معه المشاكل ويمكن تحمل الآلام والمصائب.

المحبة: تسوق الانسان نحو التضحية والفداء، وان يتخلى عن جميع الاشياء من اجل كسب رضا المحبوب.

ومن هنا كانت المحبة من أفضل السبل الى بلوغ الكمال، فلو ان الانسان استعمل هذه الموهبة الالهية في طريقها الحقيقي لا المجازي، فسوف يتمكن من نيل الفضائل ويجتنب الرذائل.

وانما تدور رحى الحياة حول قطب المحبة، وهذا من الامور الفطرية التي أودعها الله في الانسان، بل الحيوانات أيضاً تتمتع بنعمة المحبة والعاطفة، وهو ما تشاهده في الطيور وسائر الحيوانات بشكل واضح، فهي رمز بقاء الحياة واستمرارها، الا أنها موجودة لدى الانسان بشكل أجلى واكبر وأتمّ.

ولو ان الانسان استعمل هذه الطاقة للحصول على الماديات فقط، فانها ستؤدّي به الى الخسران، والابتلاء بالرذائل وبالامراض الروحية، وسيغدو في الحقيقة عبداً للشيطان الذي يصده عن الوصول الى الكمالات والحقائق الرحمانية.

واما لو استعملها في سبيل الله، فستؤدي به الى كسب الكمالات والسمو الروحي، وستكون علامة لايمانه، فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن معنىٰ كون الحب والبغض من الايمان، فقال: «**هل الايمان إلّا الحب والبغض**»[١].

وقال في رواية اخرىٰ: «**الدين هو الحب، والحب هو الدين**»[٢].

تنظيم المحبة

على السالك في مرحلة المحبة ان ينظّم حبّه، اي: عليه ان يحب الله فقط، وان احب شيئاً او شخصاً آخر فلابد ان يحبه لله.

قال تعالىٰ: ﴿**والذين آمنوا أشد حبّاً لله**﴾[٣].

ولذلك قال الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله: «**لا يؤمن احدكم حتىٰ يكون الله ورسوله أحبّ اليه مما سواهما**»[٤].

يصل السالك في هذه المرحلة موضعاً لا يحب فيه غير الله.

---

١). اصول الكافي، ٢/٢٥، الحديث ٥.
٢). تفسير نور الثقلين، ٥/٨٤.
٣). البقرة/ ١٦٥.
٤). جامع السعادات، ٣/١٩١.

قال الامام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: «**وانت الذي ازلت الاغيار عن قلوب أحبائك، حتىٰ لم يحبوا سواك، ولم يلجأوا الى غيرك**»[١].

ان المحبة لا يستحقها سوىٰ الله تعالىٰ، ولو امكن حب شيءٍ أو شخص غيره، فلابد ان يكون من ناحية تعلقه بالله سبحانه؛ لان قوام جميع المخلوقات ووجودها بالله تعالىٰ، والا لم يكن الا العدم والفناء، وهل يكون العدم والفناء جديراً بالمحبة.

اذن فعلىٰ السالك ان يحب جميع المخلوقات، لانها من آثار الله واشعاعاته، وما كان منها اقرب الى الله تكون محبته اشد واكبر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لاصحابه: «**أي عرىٰ الايمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لكل ما قلتم فضل وليس به، ولكن أوثق عرىٰ الايمان الحب في الله والبغض في الله وتولي اولياء الله والتبري من أعداء الله**»[٢].

قال تعالىٰ: ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الإيمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم**

---

١). مفاتيح الجنان، دعاء عرفة.
٢). جامع السعادات، ١٨٣/٣؛ الوافي، ص ٨٩.

الغالبون»[١].

وقال الرسول الاكرمﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ اكون أحبّ اليه من نفسه واهله وولده»[٢].

وفي رواية لرسول اللهﷺ: قال فيها لرجل من اصحابه: «**يا عبدالله أحبب في الله وأبغضْ في الله ووالِ في الله وعادِ في الله؛ فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الايمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك**»[٣].

ان اكثر الدوافع نحو الحب والبغض في ايامنا هذه تنشأ من الاغراض الدنيوية التي لا يقيم لها الله وزناً.

فقال ذلك الصحابي: وكيف لي أن أعلم أني قد واليت وعاديت في الله عز وجل؟ ومن ولي الله عز وجل حتى أواليه، ومن عدوه حتى أعاديه؟ فأشار له رسول اللهﷺ إلى عليؑ فقال: «**أترى هذا؟ فقال: بلى، قال: ولي هذا ولي الله، فواله، وعدو هذا عدو الله، فعاده، والِ وليَّ هذا ولو أنه قاتل أبيك وولدك، وعادِ عدوَّ هذا ولو أنه أبوك وولدك**»[٤].

قال الامام الباقرؑ بشأن تنظيم المحبة: «**اذا أردت ان تعلم ان فيك خيراً فانظر الى قلبك، فان كان يحب اهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته، ففيك خير والله يحبك، وان كان يبغض اهل طاعة الله ويحب اهل معصيته، فليس فيك خير والله**

---

١). المجادلة/ ٢٢.
٢). جامع السعادات، ١٧٩/٣.
٣). بحارالانوار، ٢٣٦/٦٦، الحديث ١.
٤). بحارالانوار، ٢٣٦/٦٦، الحديث ١.

يبغضك، والمرء مع من أحبّ»[١].

ان اجتماع الضدين من الامور المستحيلة، فلا يمكن اجتماع شيئين متضادين في مكان واحد وزمان واحد، فمثلاً البياض والسواد، او الليل والنهار من الامور المتضادة، فلا يمكن ان يكون الشيء الواحد في آنٍ واحد ابيض وأسود أو نهاراً وليلاً، نعم ربما أوجد اجتماعهما شيئاً ثالثاً فيزول ذانك الشيئان، وهكذا الامر بالنسبة الى العقل والجهل او الايمان والكفر، فيستحيل ان يكون الشخص عاقلاً وجاهلاً او مؤمناً وكافراً.

ومن هذا القبيل المحبة أيضاً، فلا يمكن للانسان ان يحب شيئين متضادين، ويرجع هذا النوع من المحبة الى ايمان الانسان، فاذا كان هناك شيئان أو شخصان متضادان من ناحية الايمان والمعتقد، فلا يمكن حبهما معاً؛ لأن حبَّ أحدهما يعني الوقوف الى جانبه في ايمانه واعتقاده، الذي يدل بالضرورة على عدم مشايعة الآخر في ايمانه، فلو قال شخص: انا احبهما معاً، فهو منافق أضمر عقيدته وتظاهر بحب كلا الشخصين، ومن هنا قال تعالى: **﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾**[٢].

فاذا امتلأ القلب من حب الله واوليائه، فلا شك في انه سوف لا يسعه ان يحب عدو الله وأولياءه.

ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لن يجتمع حبنا وحب عدونا في قلب**

---

١). الوافي، ص ٩٠.
٢). الأحزاب/ ٤.

واحد، ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ يحب بهذا قوماً ويحب بالآخر أعداءَهم»[١].

اذن فعلىٰ المسلم ان يمتلىء قلبه بحب خالقه لا غير، كي ينجو من مهالك الدنيا والآخرة ويسلك طريق السعادة.

«جاء أعرابي الى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال: ماذا أعددت لها؟ فقال: ما أعددت كثير صلاة ولا صيام، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: **«المرء مع من أحب، قال: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك»**[٢].

روىٰ نوف البكالي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: **«يا نوف من أحبنا كان معنا يوم القيامة، ولو أن رجلاً أحب حجراً لحشره الله معه»**[٣].

طُرق تنظيم المحبّة

لكل شيءٍ سبب، والمحبة من تلك الماهيات التي لها سبب، فلو وجد ذلك السبب فينا وتفاوت شدّة وضعفاً، فان تلك المحبة ستوجد فينا بنفس النسبة، وطبقاً للفطرة البشرية فكل ما لاءم طبع الانسان سيكون سبباً للمحبة، فمثلاً انك تحب الازهار وشذاها؛ لانها تلائم طبعك، ولكي يتضح المطلب اكثر نذكر مثالاً

---

١). أمالي المفيد، ص ٢٣٣.
٢). مجموعة ورام، ٢٢٣/١.
٣). بحارالانوار، ٣٨٥/٧٤؛ وأمالي الصدوق، ص ٢١٠.

آخر:

انت تحب فاكهةً؛ لان طعمها يتلاءم وطبعك، في حين انك لو حصلت على هذا الطعم من غيرها، لوجدت انك لا تحب تلك الفاكهة، وانما الذي تحبه هو طعمها؛ لانه يتلاءم مع طبعك ونفسك، ولذلك تحبها.

وعن طريق العلم والمعرفة يصل السالك الى هذه الحقيقة وهي: ان لا شيء في العالم اكثر ملاءمةً لطبعه من ذات الله سبحانه؛ لانه لا شيء أقرب منه الينا، قال تعالى: **﴿ونحن اقرب اليه من حبل الوريد﴾**[1]، ولذلك لابد من حب الله وحده دون غيره، واحدى طرق تحصيل ذلك زيادة معرفة الله، لأن معرفة الشيء أو الشخص من العوامل المؤثرة في محبته، فمثلاً لو نعرف الانسان على الماء ودرس خواصه، تراه مقبلاً عليه بتلك النسبة نفسها، فكلما اصابه الظمأ ينساق نحو الماء ليروي غليله؛ لانه يعلم ان الماء له هذه الخصوصية، واحياناً يكون عطشه قليلاً فلا ينساق نحو الماء كثيراً.

فالانسان حينما يغدو عارفاً بالله، ستزداد محبته لله، وكلما زادت معرفته هذه، زاد حبّه لذاته المقدسة، ومن هنا جاء في الرويات: «المعرفة بذر المحبة».

وما اختلاف الناس في حبهم الا لاجل اختلاف معرفتهم، ففي الحديث القدسي: **«لا تسعني ارضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»**[2].

ويمكن للسالك ان يحصل على محبة الله من خلال التفكير في صفات الله

---

١). ق/ ١٦.

٢). المحجة البيضاء، ٥/٢٧.

الكمالية والجلالية، فقد جاء في الرواية: «**تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة**»[١].

فان السالك مثلاً من خلال التفكير في صفة القيوميّة، يدرك ان قوام جميع الكائنات في العالم ليس بذاتها، بل هي قائمة بموجود آخر قائم بذاته، ولذلك فان من جملة صفاته القيوم، فهو متفرد بهذه الصفة؛ لانه خلق جميع الكائنات وهي مفتقرة اليه في وجودها وبقائها، قال تعالى: ﴿**يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد**﴾[٢].

ومثل ذلك اننا نحب ظلَّ شجرة فنجلس فيه، دون التفات الى الشجرة نفسها، في حين ان محبتنا لابد ان تكون للشجرة بنسبة اكبر؛ لان الظل ناشئٌ عنها، ولولاها لما كان له وجود.

فالسالك يزداد حبّاً لله عن طريق التفكير ببراهينه وآياته، ويدرك أنه خالق كلّ شيء: ﴿**الذي أحسن كل شيءٍ خلقَه**﴾[٣].

﴿**كل شيءٍ هالك الا وجهه**﴾[٤].

وكذلك يدرك أنه تعالى منزّه عن كل نقص وعيب، بل لا يمكن تصور النقص والعيب فيه، وكل الممكنات سواه ناقصة، وكلما كان الشيء انزه فهو أشرف وافضل، فيتجه الانسان بحبه اليه.

اذن فلابد فقط من حب ذلك الكامل الذي لا يتطرق النقص الى ذاته أبداً،

---

١). بحارالانوار، ٢٩٣/٦٦.
٢). فاطر/ ١٥.
٣). السجدة/ ٧.
٤). القصص/ ٨٨.

ولذلك يقال عن الله تعالى: ان صفات كماله غير زائدة على ذاته، أي أنه الأحد الذي لا مثيل له، قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[١]. والصمد الذي لا ضد او منازع له، والغني الذي لا يفتقر الى أحد، والقادر الذي لا يعجزه شيء، قال تعالى: ﴿**ويفعل الله ما يشاء**﴾[٢]، وقال أيضاً: ﴿**ان الله يحكم ما يريد**﴾[٣]، وقال أيضاً: ﴿**ان ربّك فعّال لما يريد**﴾[٤].

وبما ان الانسان ليس بامكانه ان يدرك حقيقة الله، قال النبي ﷺ: «**تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله**»[٥].

وقال أيضاً: «**تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا**»[٦]، فالله سبحانه هو صاحب الفضل والكمال، الذي حارت في معرفته ودرك كماله عقول البشر، فلم يتمكنوا من الوصول الى كنه حقيقته، ونتيجة لذلك حينما يشاهد السالك كل هذه الكمالات والفضائل اللامتناهية في خالقه، فانه لا يحبّ سواه، ويعبده وحده، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما عبدتك طمعاً في جنتك، ولا خوفاً من نارك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك**»[٧].

وروي انه اوحي الى داود: يا داود أحب الناس الي شخص يعبدني دون ان

---

١). الشورىٰ/ ١١.
٢). ابراهيم/ ٢٧.
٣). المائدة/ ١.
٤). هود/ ١٠٧.
٥). نهج الفصاحة، ٢٣٥/١.
٦). نهج الفصاحة، ٢٣٥/١.
٧). بحارالانوار، ٢٧٨/٦٩.

يطلب الأجر، وان يريدني لذاتي لا غير.

ومن الطرق الاخرىٰ التي تحصر المحبة بالله سبحانه، ان يتذكر الانسان نعمه، فكلما تعرف السالك على نعم الله اكثر زادت محبته له.

وهذا ما علمه الله لنبيه داود عليه السلام اذ قال له: «**أحببني وحببني إلى خلقي، قال: يا رب نعم أنا أحبك، فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال: اذكر أيادِيَّ عندهم، فإنك إذا ذكرت ذلك لهم أحبوني**»[1].

اذن فعلىٰ السالك ان يجلس في مكان منعزل، ويفكر في نعم الله واحدة واحدة، وطبعاً لا يمكن الاحاطة بجميع النعم، ولكن يكتفي منها بما يتذكره ويتدبر فيه.

فمثلاً قد منحنا الله نعمة الوجود، ونعمة الصحة، وجعل الانبياء وسيلة لهدايتنا، والأئمة عليهم السلام أعلاماً نقتدي بها، وغير ذلك من النعم الظاهرية والمادية والباطنية والمعنوية، ويشكر الله عليها ويقصر محبته عليه.

ومن جملة الطرق الى محبة الله ان لا يرجو السالك ما في ايدي الناس، بل عليه ان يسلك الصراط المستقيم، ويطلب جميع ما يحتاجه من الله، ويعرض حاجته عليه؛ لان الله يحب ان يرىٰ عبده وهو يعدد ما يحتاجه اليه حاجةً حاجة، وسيؤدي ذلك الى زيادة تعلق السالك بربه.

وقيل: «**جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: علمني عملاً اذا عملته احبني الله**

---

١). بحارالانوار، ٢٢/٦٧، الحديث ١٩.

والناس، ويثري مالي، ويصح بدني ويطيل عمري ويحشرني معك، فقال ﷺ: هذه ست خصال:

١ ـ اذا اردت أن يحبك الله فخفه واتقه.

٢ ـ واذا اردت أن يحبك الناس فاقطع الأمل عمّا في ايديهم.

٣ ـ واذا اردت أن يثرئ مالك، فاكثر من الصدقة.

٤ ـ واذا اردت أن يصح بدنك، فاكثر من الصوم.

٥ ـ واذا اردت أن يطول عمرك، فصل رحمك.

٦ ـ واذا اردت أن يحشرك الله معي، فاكثر من السجود بين يدي الواحد القهار»[1].

وأحدُ اسباب ايجاد المحبة السنخية الروحية، اي: ان ايجاد صفات المحبوب الروحية في النفس، يؤدي الى التقرب للمحبوب، كالسنخية الموجودة بين افراد الناس التي تقربهم الى بعضهم، فالطفل يميل الى الطفل، والشيخ الى الشيخ، والتاجر الى التاجر، وهكذا، فكل شخص يميل الى شخص ويحبه لوجود صفة مشتركة بينهما، كالصنعة والسّن، ومثل السنخية الروحية بين الأب والام والأخ والاخت، وما الى ذلك مما يؤدي الى الألفة والمحبة بينهم.

ومن هذا القبيل المحبة بين الاستاذ وتلميذه؛ لان الاستاذ يكون سبباً في حياة التلميذ روحياً، كما ان الاب سبب في حياته الجسدية والصورة الظاهرية،

---

١). المواعظ العددية، ص ٢٩١.

وعليه يكون الاستاذ أباً روحياً لتلميذه، وبما ان الروح اشرف من الجسد، يكون الاستاذ اشرف من الاب؛ اذ على اثر التعليم والتعلم تكون السنخية الروحية بين الاستاذ والتلميذ اكثر منها بين الابن والاب، ومن هنا كانت المحبة بين التلميذ واستاذه اكثر منها بين الابن ووالده، وكثيراً ما شاهدنا أبناءً ينفصلون عن آبائهم أو اخوانهم بسبب انعدام السنخية الروحية بينهما، الا ان هؤلاء الابناء او الإخوان انفسهم قد ألفوا اشخاصاً غرباء عنهم كالاستاذ، لما بينهم من السنخية الروحية، فغدت العلاقة بينهم كالعلاقة بين الولد ووالده.

وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**آباؤك ثلاثة: أب أولدك وأب زوجك وأب علّمك، وأفضلهم من علمك**»[١].

وهذا الكلام من الرسول ﷺ يدل على أهمية السنخية الروحية بين الاستاذ وتلميذه، فلو تمكن السالك من ايجاد هذه السنخية بينه وبين خالقه، فسوف يرسخ محبة الله في قلبه، وهذا ما يحصل من خلال التحلي بالصفات الإلهية.

ضبط المحبة

وفي هذه المرحلة تتم السيطرة على المحبة، فلا يكون المحبوب سوىٰ الله، وإذا احبَّ شيئاً آخر، فانما يكون حبه لأجل انتسابه الى الله، فالسالك في جميع أحواله راضٍ عن الله، فان انعم عليه شكر، وان لم ينعم عليه لم يجْزع، بل هو

---

١). جامع السعادات، ١٧٩/٣.

راضٍ برضا المحبوب.

قال امير المؤمنين عليه السلام: حصر الله الزهد في جملتين، قال تعالىٰ: **﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم﴾**[1].

اجل ان الذي لا يحزن على ما مضىٰ، ولا يأمل شيئاً في المستقبل، بنحوٍ يبعّده عن الله، سيكون مالكاً لجناحي الزهد.

وذكر الاستاذ مثالاً لعدم التعلق بالدنيا فقال: كان المرحوم الملا أحمد النراقي صاحب كتاب (معراج السعادة) في الاخلاق يسكن في مدينة كاشان، فجاءه درويش بعد ان قرأ فصل الزهد من الكتاب المذكور، فشاهد ما عليه من رغد العيش (لان المرحوم النراقي كان مرجعاً والناس تتردد عليه) فتعجب الدرويش وقال في نفسه: كيف يكون الملا استاذاً للاخلاق، ولا يتحلىٰ بالزهد والتقوىٰ؟! وحينما عزم على الرحيل بعد يومين او ثلاثة، أدرك المرحوم النراقي ان الدرويش في حيرة من أمره، فقال له: الى اين تريد؟ فاجابه: اريد الذهاب الى كربلاء، فقال النراقي: سأُرافقك، فقال: هل انتظرك ريثما تتهيأ؟ فقال النراقي: كلا انا مستعد، فانطلقا حتىٰ وصلا الى قم، وعندها شاهد النراقي الدرويش مضطرباً، فسأله عن السبب، فأجابه: لقد نسيت كشكولي في داركم في كاشان، فقال النراقي: لا بأس، فالكشكول في مكانه سنرده اليك بعد الرجوع من كربلاء، فقال الدرويش: انا لا استطيع الحياة دون الكشكول، فانا شديد التعلق به، وهنا اغتنم

---

١). الحديد/ ٢٣.

النراقي الفرصة وعرّفه على الزهد الحقيقي الذي يريده الاسلام، وقال له: ليس الزهد أن لا تدخل الحياة الاجتماعية، او أن لا تترأس، وانما الزهد أن لا تتعلق بشيءٍ سوىٰ الله، فلو تعلقت بشيء سواه، وان كان كشكولاً فهو مانع من الوصول الى الكمالات، ودليل على عدم الزهد.

ازدهار المحبة

على السالك ان يظهر محبته على الصعيد العملي، ليبلغ بها مرحلة الازدهار، فكما أنه إذا أحب شخصاً محبة مجازية يحاول اظهار هذا الحب من خلال الكلمات والاعمال التي يحبها ذلك المعشوق، فكذلك الحال بالنسبة الى محبة الله التي هي في الحقيقة المحبة السائرة في مسارها الصحيح، قال تعالى على لسان نبيه الكريم ﷺ: **﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾**[1].

وانما تظهر المحبة فيما إذا طبقت عملياً، وفي هذه المرحلة يقدم رغبات المحبوب على رغباته، ويسعىٰ الى كسب رضاه والتقرب منه، فيقوم بتزكية نفسه وتطهيرها، قال تعالىٰ: **﴿فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين﴾**[2].

ويبلغ السالك مرحلةً لا يطيق فيها فراق المحبوب، حتى انه كلما ذكر

---

١). آل عمران/ ٣١.
٢). التوبة/ ١٠٨.

المحبوب في حضرته تمتلئ عينه بالدموع، قال تعالى: **﴿واذا سمعوا ما أُنزل الى الرسول ترىٰ أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾**[١].

ولاجل ان يظهر السالك المحبة، فلابد ان يحب أولياء الله وأحباءَه، وعليه ان يطيعهم ويؤمن بولايتهم، وعلى رأسهم أهل البيت عليهم السلام، فان من القاب الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله: (حبيب الله) اذ نقرأ في زيارته: (السلام عليك يا حبيب الله)[٢].

وفي زيارة آل ياسين عندما نبين عقائدنا لامام العصر «عج» نقول له: (ان محمداً عبده ورسوله، لا حبيب الا هو وأهله)[٣].

قال سالك الى الله: كنت لفرط المحبة التي حصلت عليها في هذه المرحلة احب مناجاة المحبوب على الدوام، وان اطلب حوائجي منه فقط، لذا كنت اذهب دائماً الى حرم الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام وتمتع بالنظر الى حرمه وضريحه، وأبدأ بمناجاته؛ لان محبتي كانت قد بلغت مرحلة ازدهارها، وكانت تظهر نفسها عن هذا الطريق، وفي يوم قرأت كتاباً في فضائل الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام فواجهت هذه الجملة للمرحوم الشيخ الحر العاملي رحمه الله التي قال فيها: (في مدة اقامتي في مشهد المقدسة التي استغرقت ستاً وعشرين سنة، لا اتذكر اني دعوت في الحرم الرضوي الشريف الا وقد استجاب الله دعائي وله الحمد).

---

١). المائدة/ ٨٣.
٢). مفاتيح الجنان، زيارة يوم الثلاثاء.
٣). مفاتيح الجنان، زيارة صاحب الامر «عج» الموسومة بزيارة (آل يس).

وحينما عدت الى الماضي حين بلغت المحبة وسيطرت عليَّ، وجدت أني لم أطلب من الامام ومحبوبي شيئاً الا وقد اعطانيه، ولم يتخلَّ عني ولو لحظة واحدة، فتوجهت الى حرمة المطهر وعيناي تذرفان دموع الشوق والمحبة، فبلغت الضريح وعفرت خدّي عليه، وشكرته على جميع الطافه ومحبته.

اذا اردنا ان نظهر محبتنا لله، فلابد ان نظهرها بواسطة خلفائه، اذ لا يمكن اظهار المحبة لله مباشرة، لانه ليس من سنخ وجودنا، ولذلك فقد بعث الله تعالى أفضل مخلوقاته وهم أهل البيت عليهم السلام لهدايتنا وارشادنا، وهم من سنخنا، فيمكن لنا بمختلف الطرق ان نظهر حبنا لهم، وبذلك سوف تزدهر محبتنا، ومن هنا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: (من اطاعكم فقد اطاع الله، ومن عصاكم فقد عصى الله، ومن أحبكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله، ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله)[1].

وخلاصة القول: ان على السالك الى الله ان يجعل اهل البيت عليهم السلام ميزان محبته، وان يحب كل شخص او شيء أقرب اليهم، حتى يمكنه تنظيم محبته، ولذلك فقد أمرتنا الآيات والروايات بحبهم عليهم السلام، قال الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله:

«من مات على حب آل محمد صلى الله عليه وآله مات شهيداً».

«ألا ومن مات على حب آل محمد صلى الله عليه وآله مات مغفوراً له».

«ألا ومن مات على حب آل محمد صلى الله عليه وآله مات تائباً».

---

١). مفاتيح الجنان.

«ألا ومن مات على حب آل محمدﷺ مات مؤمناً مستكمل الايمان».

«ألا ومن مات على حب آل محمدﷺ بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير».

«ألا ومن مات على حب آل محمدﷺ زفَّ إلى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها».

«ألا ومن مات على حب آل محمدﷺ فتح له من قبره بابان الى الجنة».

«ألا ومن مات على حب آل محمدﷺ جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة».

«ألا ومن مات على حب آل محمدﷺ مات على السنة والجماعة».

«ألا ومن مات على بغض آل محمدﷺ جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه (آيسٌ من رحمة الله».

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

«ألا ومن مات على بغض آل محمدﷺ مات كافراً».

«ألا ومن مات على بغض آل محمدﷺ لم يشم رائحة الجنة»[1].

وفي رواية أخرىٰ عن رسول اللهﷺ: «لو اجتمع الناس على حبِّ علي بن أبي طالبؑ لما خلق الله عز وجل النار»[2].

«عن الحكم بن عتيبة قال: بينا انا مع أبي جعفرؑ والبيت غاصّ بأهله، إذا أقبل شيخ يتوكأ على عنزة له، حتى وقف على باب البيت، فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم سكت، فقال ابو جعفرؑ: وعليك السلام

---

١). بحارالانوار ٢٣/٢٣٣، وتفسير الرازي ٢٧/١٦٥، وتفسير الكشاف ٤/٢٢٠.
٢). بحارالانوار، ٣٩/٢٤٨، ص ٢٤٩، ص ٣٠٥.

ورحمة الله وبركاته، ثم اقبل الشيخ بوجهه على اهل البيت، وقال: السلام عليكم، ثم سكت حتىٰ اجابه القوم جميعاً، وردّواعليه السلام، ثم أقبل بوجهه على ابي جعفرعليه السلام ثم قال: يا بن رسول الله أدنني منك جعلني الله فداك، فو الله اني لأحبكم واحب من يحبكم، ووالله ما احبكم واحب من يحبكم لطمع في دنيا، والله اني لابغض عدوكم وابرأ منه، ووالله ما أبغضه وأبرأ منه لوتر كان بيني وبينه، والله اني لاحل حلالكم واحرم حرامكم وانتظر امركم، فهل ترجو لي جعلني الله فداك؟ فقال: ابو جعفرعليه السلام: إلي إلي، حتىٰ أقعده الى جنبه، ثم قال: ايها الشيخ ان ابي علي ابن الحسينعليه السلام اتاه رجل فسأله عن مثل الذي سألتني عنه، فقال له أبيعليه السلام: إن تَمُت ترد على رسول اللهصلى الله عليه وآله وعلى عليعليه السلام والحسن والحسين وعلي بن الحسين، ويثلج قلبك ويبرد فؤادك، وتقرّ عينك، وتستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين... وان تعش ترىٰ ما يقر الله به عينك وتكون معنا في السنام الاعلىٰ، فقال الشيخ: كيف قلت يا ابا جعْفر؟ فاعاد عليه الكلام، فقال الشيخ: الله اكبرُ يا أبا جعفر، إن أنا متُّ أردُ على رسول اللهصلى الله عليه وآله وعلى علي والحسن والحسين وعلي بن الحسينعليهم السلام وتقر عيني ويثلج قلبي ويبرد فؤادي وأُستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين، وإن أعش أرىٰ ما يقر الله به عيني، فأكون معكم في السنام الاعلى؟! ثم اقبل الشيخ ينتحب وينشج حتىٰ لصق بالارض، واقبل اهل البيت ينتحبون وينشجون لما يرون من حال الشيخ، واقبل أبو جعفرعليه السلام يمسح باصبعه الدموع من حماليق عينيه وينفضها، ثم رفع الشيخ رأسه فقال لابي

جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله ناولني يدك جعلت فداك. فناوله يده فقبلها ووضعها على عينيه وخدّه، ثم حسر عن بطنه وصدره، ثم قام، فقال: السلام عليكم، واقبل أبو جعفر عليه السلام ينظر في قفاه وهو مدبر، ثم اقبل بوجهه على القوم، فقال: من أحب ان ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا.

فقال الحكم بن عتيبة: لم أرَ مأتماً قط يُشبه ذلك المجلس»[١].

آثار المحبة

والآن فلنسمع آثار مرحلة المحبة من كلام الامام الصادق عليه السلام، قال الصادق عليه السلام: «حب الله اذا أضاء على سرّ عبدٍ اخلاه عن كل شاغل، وكل ذكر سوى الله، والمحب أخلص الناس سرّاً لله تعالى واصدقهم قولاً وأوفاهم عهداً وازكاهم عملاً واصفاهم ذكراً، وأعبدهم نفساً، تتباهى الملائكة عند مناجاته، وتفخرُ برؤيته، وبه يعمر الله تعالى بلاده، وبكرامته يكرم الله عباده. يعطيهم إذا سألوه بحقّه، ويدفع عنهم البلايا برحمته، ولو علم الخلق ما محله عند الله ومنزلته لديه، ما تقربوا الى الله إلا بتراب قدميه»[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «حب الله نار لا يمرّ على شيء إلا احترق»[٣].

ومن آثار حب الله الأخرى: ان السالك يأنس باولياء الله واحبائه ويحبهم

---

١). روضة الكافي، ص ٧٦.
٢). بحارالانوار ١٠٠/ ٢٣، مصباح الشريعة ص ١٩٢.
٣). بحارالانوار ١٠٠/ ٢٣، ومصباح الشريعة ص ١٩٢.

لمكان السنخية الروحية بينه وبينهم، ويستفيد منهم معنوياً، كما حصل ذلك لشعيب عليه السلام حتىٰ بعث الله اليه موسىٰ عليه السلام ليأنس به، فقد قال الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله: «ان شعيباً عليه السلام بكىٰ من حب الله عز وجل حتىٰ عميَ، فرد الله عليه بصره، ثم بكىٰ حتىٰ عميَ، فردَّ الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة، أوحىٰ الله اليه: يا شعيب، الى متىٰ يكون هذا أبداً منك؟ إن يكنْ هذا خوفاً من النار فقد أجرتك، وان يكن شوقاً الى الجنة فقد ابحتك، فقال: الهي وسيدي، أنت تعلم اني ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً الى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي، فلست أصبر أو أراك، فأوحىٰ الله: أمّا اذا كان هذا هكذا سأخدمك كليمي موسىٰ بن عمران»[1].

ومن آثار المحبة الاخرىٰ ان السالك يلتذ بمناجاة محبوبه، فلا يجد نفسه وحيداً أبداً، فكلما استقر في مكان منعزل يبدأ بالانس ومناجاة محبوبه وخالقه، فقد ورد في رواية: انه أوحي الى موسىٰ عليه السلام: «يا بن عمران كذب من زعم انه يحبني، فاذا اجنّ الليل نام عني، اليس كل محب يحب خلوة حبيبه، ها أنا ذا يا بن عمران مطلع على احبائي، اذا جنّهم الليل حولت ابصارهم الي من قلوبهم، ومثلت عقوبتي بين أعينهم يخاطبون عن المشاهدة، ويكلموني عن الحضور، يا بن عمران هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع في ظُلم الليل، فانك تجدني قريباً»[2].

ومن جملة آثار محبة الله ان السالك لا يخشىٰ الموت، بل يراه موعداً للقاء

---

١). جامع السعادات، المقام الرابع، فصل (ردّ المنكرين لحب الله) ص ١٥٢.
٢). جامع السعادات ١٥١/٣.

المحبوب.

فحينما جاء ملك الموت ليقبض روح ابراهيم عليه السلام قال له ابراهيم: **«هل رأيت خليلاً يميت خليله؟»**.

فأوحى اليه الله: **«هل رأيت محبّاً يكره لقاء حبيبه؟»**.

فقال إبراهيم عليه السلام لملك الموت: **«الآن اقبض روحي»**[١].

ومن جملة آثار المحبة ان السالك يكون راضياً برضى محبوبه، ويريد ما يريده المحبوب، ولا يبدي اي نوع من الامتعاض وعدم الرضا.

نقل استاذي العزيز عن حالات المرحوم (الحاج ملا آقاجاني): لا أنسى انه يوماً كان يشرب دواءً مركباً من [illegible] وربما كان من أردأ انواع الادوية طعماً، الا انه كان يتناوله وكأنه يتناول العسل ويلتذ به. فسألته عن ذلك؟ فقال: هذا ما اراده محبوبي، ولذلك فهو لذيذ عندي[٢].

فان اولياء الله يستحسنون كل شيء يصدر من الله. وقد ورد في الامثال العرفانية: (ضرب الحبيب لا يوجع).

* * *

ان السالك الى الله في هذه المرحلة يوجه محبته نحو الله من خلال برنامج محدد، ومعلومات يقدمها له استاذه، حتى يتمكن بهذا الطريق أن يبلغ بحبه حدّ الازدهار، فمثلاً يظهر محبته لاولياء الله من خلال قراءة الزيارة الجامعة الكبيرة

---

١). جامع السعادات ١٥١/٣.
٢). كتاب پرواز روح (تحليق الروح) ص ٦٨.

والتدبر في معانيها، وهذا هو عين محبة الله، ومن خلال ذكر (يا محبوب) يعرض نفسه لمحبة الله غير المتناهية.

وفي هذه الصورة سوف لا يحب السالك سوىٰ خالقه، وقد بين الامام السجاد عليه السلام علامات مثل هذا الشخص في مناجاة المحبين بقوله: «**الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً؟ ومن ذا الذي أنِسَ بقربك فابتغىٰ عنك حولاً؟ الهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك، واخلصته لودك ومحبتك، وشوقته الى لقائك، ورضيته بقضائك، ومنحته بالنظر الى وجهك، وحبوته برضاك وأعذته من هجرك وقلاك، وبوأته مقعد الصدق في جوارك، وخصصته بمعرفتك، واهلته لعبادتك، وهيّمت قلبه لارادتك، واجتبيته لمشاهدتك، واخليت وجهه لك، وفرغت فؤاده لحبك، ورغبته فيما عندك، والهمته ذكرك، وأوزعته شكرك، وشغلته بطاعتك، وصيرته من صالحي بريتك، واخترته لمناجاتك، وقطعت عنه كل شيء يقطعه عنك، اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح اليك والحنين، ودهرهم الزفرة والأنين، جباههم ساجدة لعظمتك، وعيونهم ساهرة في خدمتك، ودموعهم سائلة من خشيتك، وقلوبهم متعلقة بمحبتك، وأفئدتهم منخلعة من مهابتك، يا من أنوار قدسه لابصار محبيه رائقة، وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة، يا منىٰ قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبين، اسألك حبك وحب من يحبك، وحبّ كل عمل يوصلني الى قربك، وان تجعلك أحب الي مما سواك، وان تجعل حبي اياك قائداً الى رضوانك، وشوقي اليك ذائداً عن عصيانك، وامنن بالنظر اليك عليّ، وانظر**

بعين الودّ والعطف الي، ولا تصرف عني وجهك، واجعلني من اهل الاسعاد والحظوة عندك، يا مجيب يا ارحم الراحمين»[١].

نجاح سالك

قال سالك: (حينما بلغت مرحلة المحبة، واعطاني استاذي العزيز ما يناسب هذه المرحلة من الدروس، علمت أنه، لا ينبغي ان يبقى في قلبي من حب الدنيا وزخارفها ولو بمقدار رأس الخياط، فلابد ان اقصر محبتي على الله فحسب؛ لكي اصل الى مقام العبودية، وإلا كنت عبد الدنيا وغفلت عن ربي الرحيم، ولم أؤد حق العبودية، وسيطردني الله كما طرد الشيطان الذي غلبت عليه الانا وحب الذات، فحلت عليه اللعنة.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الا انني مهما حاولت لم استطع التخلص من حب الدنيا ومتعلقاتها، واصبت باضطراب نفسي عجيب، فكنت أتصور ان عدم حب الدنيا يعني اختيار العزلة والافتقار وعدم الاكل والشرب وعدم الزواج! فكيف يمكنني ان انفصل عن تركيبتي الاجتماعية؟ وكيف لي ان اخرج حب هذه الامور من قلبي؟

ولذلك قصدت استاذي مرّة اخرى واخبرته بمشكلتي.

فقال: متى رأيتني قلت لك ان عدم حب الدنيا يعني تركها؟ وقرأ قوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده﴾[٢].

---

١). مفاتيح الجنان، مناجاة المحبين من المناجاة الخامسة عشرة.
٢). الاعراف/ ٣٢.

ثم قال: كان رسول الله ﷺ والائمة الاطهار عليهم السلام يستفيدون من النعم الالهية المادية، ولم يتركوا الدنيا كما تصورت، فقد ورد عن الرسول ﷺ انه قال: «**حبّب الي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[١].

كما أن الأئمة عليهم السلام لم يتركوا الدنيا بمعنى ترك الزواج او عدم تناول الاطعمة اللذيذة وعدم ارتداء الثياب الجيدة، بل عملوا العكس، فقد استفادوا من هذه الامور.

اذن فعليك ان لا تتعلق بزخارف الدنيا، فلا تحزن لو فقدتها أو أُخذت منك، ولا تفرح فيما اذا أعطيتها، وان تكون استفادتك منها بمقدار رفع حاجتك الجسدية والروحية، ولابد في ذلك أيضاً من المحافظة على تكاليفك الفردية والاجتماعية.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فحينما تأكل الطعام ينبغي ان تأكله بمقدار رفع حاجتك الجسدية اليه، كي تقوى على عبادة الله، وان كنت تلتذ ضمناً بتناول الطعام؛ لان الله قد قرن اللذه في جميع الماكولات والمشروبات كي تتلاءم وطبع الانسان، ليقبل على تناولها ويتمكن من خلالها أن يسمو الى الكمالات؛ اذ ليس الهدف من تناولها صرف اللذة، بل يقصد معها رفع حاجة الجسم ليقوى على العبادة أيضاً، وعندما تصل الى هذه المرحلة سوف لا تسرف في تناول الاطعمة، بل تأخذ منها حاجتك، قال تعالى: ﴿**كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين**﴾[٢].

---

١). المواعظ العددية، الباب الثالث، الفصل الخامس، ص ١٤٧.
٢). الاعراف/ ٣١.

وهكذا سائر الامور الدنيوية من قبيل المسكن والملبس وانتخاب الزوجة.

كان ذلك يوماً سعيداً اذا استفدت فيه الكثير من استاذي.

الا ان نزع حبّ الدنيا من قلبي والتوجه الى الله كان شاقاً بالنسبة الي، جلست في غرفتي وأخذت أقرأ الدرر من كلمات (أهل البيت عليهم السلام) بشأن حب الدنيا إذ قالوا: «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»[1].

ان تعاسة الانسان تكمن في اهتمامه بهذه الايام القلائل من حياته الدنيا.

ووقعت عيني أيضاً على كلام لأمير المؤمنين عليه السلام ينقل فيه مقطعاً من التوراة يقول: «**عبدي انا وحقي لك محبّ، فبحقي عليك كن لي محبّاً**»[2].

وقرأت أيضاً هذه الرواية التي تقول ان الله سبحانه قال: «**يا داود لو علم المدبرون عني كيف انتظاري لتهم وشوقي الى تركك معاصيهم، لماتوا شوقاً، وتقطعت اوصالهم من محبتي**».

وبعد قراءة هذه الروايات توجهت الى الله بجميع مشاعري ووجودي، وخجلت مما سبق مني من عدم المحبة وانعدام الادب. فكيف نغفل عنه برغم اهتمامه ورحمته بنا؟ فاستقبلت القبلة وانا أذرف الدموع وطلبت منه العذر.

وآنذاك كانت محبة الدنيا قد خرجت من قلبي، ولكن ليس بشكل كامل، وكنت وانا مستقبل القبلة أردد قول: (يا محبوب) مع التدبر في معناه، وانا اذرف الدموع. وبعد لحظات كأنني انهمست ان اتوسل بحبيبة الله فاطمة الزهراء عليها السلام حتى

---

١). بحارالانوار، ٣٥٨/٥١.
٢). أرشاد القلوب، ١٧١/١.

تساعدني لتخرج محبة الدنيا من قلبي عاجلاً، فتوسلت اليها وصليت ركعتي الاستغاثة بها، وبعدها كبّرت ثلاثاً وسجدت وقلت مئة مرة: (يا مولاتي يا فاطمة عليها السلام أغيثيني)، وفي حين توجهي اليها عليها السلام بكل وجودي كررت الجملة نفسها مرة اخرى مئة مرة، بقلب حزين وعين دامعة، واضعاً خدي الايمن على الارض، ثم كررتها مئة مرة واضعاً خدّي الايسر على الارض، ثم سجدت وكررتها مئة وعشر مرّات، حتى أغمي علي، وفجأة ضاءَ قلبي بنورها عليها السلام، وكأن عبئاً ثقيلاً أزيح عن كاهلي، واستولى على قلبي فرح غامر لا يمكن وصفه.

وكما قال الامام محمد الباقر عليه السلام: «**يا أبا خالد، لنور الامام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين**»[١].

وقال أيضاً: «**يا أبا خالد لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه**»[٢].

وبعد توسلي بتلك السيدة العظيمة ومحبتي لها، وجدت ان محبة الدنيا قد خرجت من قلبي بالكامل، وقد برئتُ من ذلك المرض المهلك، ووفقت الى أن أوجّه محبتي نحو الله سبحانه وتعالى.

---

١). بحار الانوار، ٣٠٨/٢٣، الحديث ٥.

٢). بحار الانوار، ٣٠٨/٢٣، الحديث ٥.

مرحلة جهاد النفس

١ ـ جهاد النفس

٢ ـ الجهاد الأكبر

٣ ـ ترك العادات

٤ ـ القبح الفعلي والفاعلي

٥ ـ نجاح سالك

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جهاد النفس

الجهاد يعني: محاربة العدو وأنزال الخسائر به والقضاء عليه.

وليس المراد من جهاد النفس ترك الدنيا والرهبنة كما يفعل الهندوس والرهبان والقابعون في الصوامع والصوفيون واصحاب الطريقة، فان هذه باجمعها من خطوات الشيطان التي تخالف صراط الدين المستقيم وتبعد الانسان عن السمو والتكامل الروحي والقرب من الحق ورضوان الله الاكبر.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بل ان جهاد النفس وتزكيتها يعني: ان يجاهد السالك الى الله طلباته غير العقلائية التي لا يرضاها الله، وذلك بالرجوع الى آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويروض نفسه حتى تألف الاعمال الصالحة التي ترضي الله تعالى، وتجعل العبد على الطريق المستقيم للشرع الاسلامي المقدس، ويتخلق باخلاق الله، وفي هذه الصورة وعد الله عباده بهدايتهم الى سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾**[1].

وقال أيضاً: **﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل**

---

١). العنكبوت / ٦٩.

الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون»[١].

وكما يحتاج الجهاد الاصغر الى قائد محنك يعرف طرق التغلب على العدو والانتصار عليه، كذلك الجهاد الاكبر، إذ لابد من تأديب النفس بطرق خاصة أقرّتها الشريعة الاسلامية المقدسة، ومن هنا كان الجهاد الاكبر بحاجة الى سياسة وتأديب للنفس، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من لم يَسُسْ نفسه أضاعها**»[٢].

وضياع النفس يعني موتها وفقد الحياة المعنوية.

اجل ان المراد من الجهاد هو ترويض النفس على أداء الواجبات والاعمال التي ترضي الله تعالى، وكفّها عن المحرمات والاعمال المضرّة التي بينها الاسلام لتستعيد حياتها المعنوية والروحية، وبما ان النفس تنشد الراحة ورغد العيش والتحلل، تجدها أوّل الأمر متباطئة تجاه الواجبات واداء الوظائف الدينية، وتكون بفعل الذنوب والتمرد على اوامر الشارع المقدس اكثر تقبلاً لذلك، ومن هنا كان على الانسان ان يجاهد نفسه ليكبح جماحها، فهي كالحيوان المفترس الذي يمكن ترويضه من خلال التربية.

وما لم يتمكن الانسان من كبح جماح نفسه، فعليه ان ينظر لها بعين العدو الذي يحاول انزال الضرر به، ويواجهه على هذا الاساس، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون اعداءكم**»[٣].

---

١). التوبة/ ٤١.
٢). غرر الحكم، ص ٢٣٩، الحكمة ٤٨٢٧.
٣). شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٢٠/٣١٤.

وقال أيضاً: «**لا عدوَّ أعدى على المرء من نفسه**»[١].

وقال أيضاً: «**نفسك عدوٌّ محارب وضد مواثب ان غفلت عنها قتلتك**»[٢].

علينا ان نعلم ان كل واحدة من الرغبات التي اودعها الله لحكمة فينا، بمنزلة غصنٍ الى السعادة. فعلى السالك الذي يريد السعادة والهناء وبلوغ مرحلة العبودية التي تؤدي الى السعادة الحقيقية، ان يهتم بجميع متطلباته الروحية ورغباته الطبيعية، وان يقوم على ارضائها بالطرق الصحيحة.

وإن الذين يرون السعادة في ارضاء بعض الرغبات الغريزيّه ولو بالطرق غير المشروعة، ويغفلون سائر الطاقات الفطرية، فهؤلاء يظلمون أنفسهم، وسوف لا يبلغون الكمال والسعادة اللائقة بالانسان أبداً. قال رسول الله ﷺ: «**من لم ير أنَّ لله عليه نعمة الا في مطعم أو مشرب فقد جهل وكفر نعم الله وضل سعيه ودنا منه عذابه**»[٣].

على السالك الى الله ان يكبح جماح رغباته النفسية ويحول دون تمردها، وان يفرض عليها الفضائل الاخلاقية من خلال السعي والمجاهدة، وان يطهرها ـ خلافاً لرغبتها ـ من الامور التي لا ترضاها الشريعة الاسلامية.

قال الرسول الاكرم ﷺ: «**يقول الله تبارك وتعالى لابن آدم: ان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك، فقد أعنتك عليه بطبقين، فأطبق ولا تنظر، وإن نازعك**

---

١). غرر الحكم، ص ٢٣٤، الحكمة ٤٦١٦.
٢). غرر الحكم، ص ٢٣٤، الحكمة ٤٦١٥.
٣). تحف العقول، ص ٥٢.

لسانك الى بعض ما حرمت عليك، فقد اعنتك عليه بطبقين فأطبق ولا تتكلم، وان نازعك فرجك الى بعض ما حرمت عليك، فقد أعنتك عليه بطبقين فاطبق ولا تأت حراماً»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «اشجع الناس من غلب هواه»[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله»[٣].

ويمكن تلخيص جهاد النفس في الامور الثلاثة التالية:

١ ـ رفع الموانع والاهواء النفسية.

٢ ـ كبح جماح النفس وجعلها طيّعة.

٣ ـ تهيئة النفس لتقبّل الحقائق.

فلو تمكن السالك الى الله في مرحلة جهاد النفس من ايجاد هذه الامور الثلاثة في نفسه، فقد وصل الى مرحلة العبودية لربه واستحق مجالسة أولياء الله في الجنة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما هي نفسي أروضها بالتقوىٰ لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب المزلق»[٤]

* * *

● أولاً: رفع الموانع

---

١). وسائل الشيعة، ١٥/٢٥٤.
٢). مستدرك الوسائل ١٢/١١١.
٣). مستدرك الوسائل ٧/٤٦، الحديث ٧٦١٦.
٤). نهج البلاغة، صبحي الصالح، الكتاب ٤٥.

ان السالك الى الله بعد ان يطوي مراحل تزكية النفس، ويصل الى مرحلة جهاد النفس، يمكن ان يقال عنه: انه رفع الموانع الواقعة امام سير النفس نحو التكامل. واذا كان هناك بُطأٌ في سيره الروحي فمرجع ذلك الى عدم انجازه المراحل السابقة بشكل صحيح، وعدم رفع الموانع التي تحول دون السير الى الله. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الشرّ كامن في طبيعة كل أحد، فان غلبه صاحبه بطن، وان لم يغلبه ظهر**»[١].

● ثانياً: كبح جماح النفس

على السالك بعد رفع موانع التقدم نحو التكامل الروحي، ان يربي نفسه ويكبح جماحها، وبذلك يصدّها عن طلباتها غير المشروعة، قال تعالى: ﴿**ونهى النفس عن الهوى**﴾[٢].

وعلى السالك الى الله في الدرجة الاولى ان يعرف نفسه حتى يتمكن من كبحها وصيانتها، قال الإمام علي عليه السلام: «**من عرف جوهر ذاته أمن من الشهوات وطول الأمل**»[٣].

وبما أن النفس تطلب الراحة، فهي غالباً ما تتمرد على أوامر ربها وعبادته، ومن جهة ثانية بما أنها لا تدرك ما ينفعها وما يضرها، فانها تقع دائماً في حبائل

---

١). غرر الحكم، ص ١٠٥، الحكمة ١٨٩٥.
٢). النازعات/ ٤١.
٣). غرر الحكم، ص ٧١٠.

الشيطان، فيجبرها على ما تهواه من الاعمال ويُلائمها.

فمثلاً حينما تتمهد الارضية لاقتراف الذنب والمعصية، وتحصل اللذة في النفس، فانها تميل الى ارتكاب المعصية، وبما أنها الى الآن لم تثبت على طاعة ربها، فانها لا تخشىٰ انذاره ووعيده، وهنا يساعده الشيطان أيضاً ليرتكب ذلك الذنب الذي يلائم طبعه، وبذلك تبتلي النفس بالحبائل الشيطانية، ولذا لا ينبغي الاعتماد عليها حتىٰ يمكن الامساك بزمامها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ان نفسك لخدوع إنْ تثق بها يقتدك الشيطان الى ارتكاب المحارم، ان النفس لامارة بالسوء والفحشاء، فمن ائتمنها خانته، ومن استأمنَ اليها أهلكته، ومَن رضي عنها أوردته شرَّ الموارد، وان المؤمن لا يمسي ولا يصبح الا ونفسه ظنون عنده، فلا يزال زارياً عليها ومستزيداً اليها**»[١].

واما اذا امكن لوصايا الاستاذ ان تكبح جماح النفس، فانها سوف لا تبتلي باحابيل الشيطان ولا تقبل قياده.

قال الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله: «**طوبىٰ لمن ترك شهوة حاضرة لموعود لم يره**»[٢].

قال الامام الصادق عليه السلام لبعض تلامذته يوماً: «**أي شيءٍ تعلمت مني؟ قال: رأيت الناس في لهوهم وطربهم، وسمعت قوله تعالىٰ ﴿وأما من خاف مقام ربّه ونهىٰ النفس عن الهوىٰ فان الجنة هي المأوىٰ﴾**[٣] فاجتهدت في صرف الهوىٰ

---

١). جامع احاديث الشيعة، ٢٤٦/١٣.
٢). بحارالانوار، ٧٤/٦٧، الحديث ١.
٣). النازعات/ ٤٠ ـ ٤١.

عن نفسي حتى استقررت على طاعة الله تعالى»[١].

ان على السالك الى الله ان يقسّم أعماله ولذاته النفسية الى ثلاثة اقسام:

الاول: الاعمال واللذات التي يحبها الله ويريدها من العبد.

الثاني: الاعمال التي تحبها النفس وتسعى الى ارتكابها.

الثالث: الاعمال واللذات التي يحبها الله وتحبها النفس، وكلاهما يريد من الانسان ان يفعلها.

وعلى السالك ان يحصر جميع أعماله ولذاته بالقسم الاول، اي يفعل تلك الامور لنيل رضا الله. ولابد ان يجهد ان لا تكون اعماله من القسم الثالث الذي يحبه الله وتحبه نفسه، لانه حينئذ سيعبد الله وإما سواه ويجعل لله شريكاً.

ولذلك قال الامام الصادق عليه السلام: «**لا تدع النفس وهواها؛ فانَّ رداها في هواها، وترك النفس وما تهوى أذاها، وكف النفس عما تهوى دواؤها**»[٢].

حينما يملك السالك زمام نفسه يكون سيدها، فتخضع لقيادة عقله، فتقبل الحقائق وتنفذ الحكمة فيها. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**جاهدوا أهواءكم تملكوا أنفسكم**»[٣].

وقال الامام الصادق عليه السلام: «**من ملك نفسه إذ رغب وإذا رهب وإذا اشتهى وإذا غضب وإذا رضي حرّم الله جسده على النار**»[٤].

---

١). ارشاد القلوب، ١/١٨٧.
٢). جامع احاديث الشيعة، ١٣/٢٥١.
٣). مجموعة ورّام، ٢/١٢٢.
٤). بحارالانوار، ٦٨/٣٥٨، الحديث ١.

والمراد من فقرة: «**اذا غضب واذا رضي**» انه يملك قياد نفسه حالة الغضب حتىٰ لا يظلم، ويملكه حالة رضاه عن شخص فلا يدفعه رضاه عنه الى فعل ما لا يرضي الله.

وقال الامام الصادق عليه السلام: أيضاً: «**جاهدوا أنفسكم على شهواتكم تحل قلوبكم الحكمة**»[1].

قال الاستاذ: بوصفك من أهل العلم اذكر لك نموذجاً من العلماء الذين جاهدوا أنفسهم وامتلكوا زمامها، فجرت الحكمة على قلوبهم يتمثّل في المرحوم الشيخ الانصاري رحمه الله وسعيد العلماء المازندراني رحمه الله حتىٰ تقتدي بهما.

فقد جاهد الشيخ الانصاري رحمه الله نفسه حتىٰ أقرّ مخالفوه بزهده وتقواه، وأثنوا على مقاماته الروحية السامية. وحينما توفي المرحوم الشيخ محمد حسن صاحب (جواهر الكلام) عين العلماء آنذاك الشيخ مرتضىٰ الانصاري للمرجعية، ولكن الشيخ كان لشدة ورعه وتقواه في شغل عن حب الجاه والمناصب، فارشدهم الى سعيد العلماء المازندراني، وقد كانا يدرسان معاً ويشهد له بالعلم والفضيلة، فارشدهم اليه بوصفه اعلم منه، فارسلوا اليه ثقة، الا ان سعيد العلماء الذي كان من اولياء الله ايضاً كابحاً جماح نفسه، قال للرسول: نعم، انا وان كنت في حينها أعلم من الشيخ الانصاري، الا أنني انقطعت عن الدروس بسبب انشغالي هنا في مازندران، بينما استمر الشيخ الانصاري على دروسه في النجف الاشرف، مما

---

١). مجموعة ورّام، ٢/١٢٢.

عكس النسبة بيننا، فهو الآن أعلم مني.

وبذلك تصدى المرحوم الشيخ الانصاري للمرجعية، وفقاً لما يمليه عليه الواجب الشرعي.

● **ثالثاً: إعداد النفس لتقبّل الحقائق**

حينما يمسك السالك الى الله زمام نفسه، لا يسعى الا لرضا الله، فلا يفعل شيئاً الا بقصد القربة، ولذلك لا يغفل عن ذكر الله طرفة عينٍ أبداً. كما سأل مجاشع من الرسول الاكرمﷺ عن كيفية الطريق الى ذكر الحق، فاجابه الرسولﷺ: «**نسيان النفس**»[١].

وفي هذه الحال يستشعر المجاهد الى الله نفسه دائماً في حضرة ربه، مدركاً لحقيقة أنَّ الله حاضر وناظر، قال تعالى: ﴿**ان الله كان عليكم رقيباً**﴾[٢].

وقال أيضاً: ﴿**ان ربك لبالمرصاد**﴾[٣].

ولذلك لا يتوقف عن الجهاد في سبيل ربه، فهو في حرب دائرة بينه وبين نفسه الأمّارة بالسوء.

وهنا تصبح النفس على استعداد لتقبّل الحقائق، ويكون مصداقاً لقول النبي الاكرمﷺ: «**أرني الاشياء كما هي**» وهو ما سيحصل عليه في مرحلة العبودية.

---

١). مستدرك الوسائل، ١١/١٣٨، ١٢٦٤٣.
٢). النساء/ ١.
٣). الفجر/ ١٤.

قال الاستاذ: يتصور بعضٌ ان المؤمن الصالح هو الذي تتحرك شفتاه دائماً بذكر الله، او هو الذي يترك الحياة ومعاشرة الناس، ويصلي دائماً، ويصوم نهاره وينفق كل ما لديه في سبيل الله دون ان يلتفت الى روحه.

وهذا الخطأ ناشئ من الالتفات الى الظاهر دون الباطن، وعدم الالتفات الى الكمالات المعنوية، فان هذا النوع من الناس لا يعلم ان ولي الله هو الذي يطهّر روحه من الرذائل، ويعمل بتكاليفه الشرعية، ويجعل الله دائماً نصب عينيه، فان هذا في حدّ ذاته عمل عظيم. فقد نقل عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: «**ان أشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً، ثم قال: أما لا أعني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر، وإن كان منه، ولكن ذكر الله عند ما أحل وحرم، فإن كان طاعة عمل بها وإن كان معصية تركها**»[١].

مركز التحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ان ظاهر الافراد لا يدل على باطنهم أبداً، فما اكثر الذين يبدو عليهم الصلاح، مع أن روحهم مصابة بأنواع الامراض الاخلاقية. وبعكس ذلك قد لا يكون ظاهر شخص جيداً، الا انه يتمتع بروح سالمة، الا ان اولياء الله يعملون على طبق المقتضيات الزمانية والمكانية، فتارة يظهرون بثياب فاخرة، وتارة يظهرون بثيابهم الاعتيادية، لأن تمام سعيهم وهمهم أن يرضوا الله لا أن يرضوا المخلوق.

قال الامام السجاد عليه السلام: «**الرجل كل الرجل، نعم الرجل هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله**»[٢].

---

١). مستدرك الوسائل، ٢٧٩/١١، ١٣٠٠٩.
٢). وسائل الشيعة، ٣١٨/٨.

وقد روي: «ان رجلاً مرَّ على قوم في عصر النبيﷺ فلما جاوزهم، قال رجل منهم: إني أبغض هذا الرجل لله، فقال القوم والله لبئس ما قلت، وإنا نخبره بذلك، فاخبروه به، فاتىٰ الرجل رسول اللهﷺ وحكىٰ له ما قال، وسأله أن يدعوه، فدعاه وسأله عما قال في حقه، فقال: نعم، قد قلت ذلك، فقال رسول اللهﷺ: ولمَ تبغضه؟ فقال: أنا جاره وانا به خبير، والله ما رأيته يصلي صلاة قط، الا هذه المكتوبة... فقال: يا رسول الله فاسأله هل رآني أخرتها عن وقتها او أسأت الوضوء لها والركوع والسجود؟ فسأله، فقال: لا، ثم قال: والله ما رأيته يصوم شهراً قط، الا هذا الشهر الذي يصومه كل برٍّ وفاجر، قال: فاسأله يا رسول الله، هل رآني أفطرت فيه أو أنقصت من حقه شيئاً؟ فسأله، فقال: لا، ثم قال: والله ما رأيته يعطي سائلاً قط ولا مسكيناً، ولا رأيته ينفق من ماله شيئاً الا هذه الزكاة التي يؤديها البرُّ والفاجر، قال: فاسأله: هل رآني نقصت منها شيئاً او ماكست فيها طالبها الذي يسألها؟ فسأله، فقال: لا...

فقال رسول اللهﷺ للرجل: قم، فلعله خير منك»[1].

فلا ينبغي للانسان ان يحكم على الظواهر فيسيئ الظن بالمسلمين، ولا يرىٰ روح العبادة والطاعة فيهم.

---

١). جامع السعادات، ٢/٣٠١، المقام الرابع، فصل بواعث الغيبة.

الجهاد الاكبر

لماذا سُمي جهاد النفس بالجهاد الاكبر؟

سبب ذلك أنَّ الحرب الواقعة في داخل الانسان أخطر بدرجات من محاربة العدو الخارجي، ولو تمكن السالك الى الله من الانتصار في محاربته لنفسه، فانه سينتصر على عدوه الخارجي ويحصل على السعادة، بل سيكون منتصراً حتى اذا خسر الجولة مع عدوه الخارجي، واما اذا خسر في حربه مع نفسه، فإنَّه سيفقد اسسه وجذوره، ولا تكون عاقبته سوى البؤس والشقاء.

ولذلك فان المسلمين وان كانوا يخسرون في الحرب الواقعة بين الاسلام والكفر، كانوا يعدون أنفسهم منتصرين؛ لان الشهادة احدى الحسنيين، ولا ينالونها الا بعد انتصارهم في مجاهدتهم لانفسهم.

ولذلك قال الرسول الاكرمﷺ بشأن مجاهدة العدو الخارجي: «**ان قَتَلوا أو قُتِلوا فلهم الجنة**».

وقال الرسول الاكرمﷺ للمسلمين عند عودتهم من أحدى الغزوات: «**مرحباً بقوم قضوا الجهاد الاصغر وبقي عليهم الجهاد الاكبر... فقيل: يا رسول الله، ما الجهاد الاكبر؟ قال جهاد النفس**»[١].

وقال رسول اللهﷺ أيضاً: «**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله**»[٢].

---

١). وسائل الشيعة، ١٥/١٦١، ٢٠٢٠٨.
٢). نهج الفصاحة، ٢/٦٢٤.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ان أفضل الجهاد مجاهدة الرجل نفسه**»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ان افضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه**»[٢].

وقال أيضاً: «**ثلاثة هن من أفضل الأعمال: مجاهدة النفس، ومغالبة الهوىٰ والإعراض عن الدنيا**»[٣].

وجهاد النفس من العظمة، حتى عُدَّ بمنزلة الصفقة التجارية التي يكون المشتري فيها هو الله الذي يطلب شراء النفس المهذّبة، ويعطي بازائها سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تنجيكم من عذابٍ اليم ۞ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خيرٌ لكم ان كنتم تعلمون**﴾[٤].

وقال أيضاً: ﴿**ان الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأنَّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفىٰ بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**﴾[٥].

---

١). غرر الحكم، ص ٢٤٢ الحكمة ٤٩٠٧.
٢). بحارالانوار، ٦٥/٦٧، الحديث ٧.
٣). مجموعة ورام، ١٢٢/٢.
٤). الصف/ ١٠ ـ ١١.
٥). التوبة/ ١١١.

ترك العادات

ان العادات السائدة في حياة الناس تعدُّ من الأمراض والرذائل التي تحرف السالك الى الله عن طريق الشريعة الاسلامية المقدسة، اذ مع وجودها لا يتمكن السالك من أداء التكاليف التي اوجبها الشارع عليه بشكل صحيح، ومن هنا كان التغلب على العادة من افضل العبادات، قال الامام علي عليه السلام: «**أفضل العبادة غلبة العادة**»[1].

وبشكل عام يمكن تقسيم العادات الى قسمين:

الاول: العادات التي توجد في العبادات.

الثاني: العادات التي توجد في غير العبادات.

وكلاهما مذموم، وقد تتعجب وتقول: كيف تكون العادات في العبادات مذمومة أيضاً؟!

ولكي يتضح المطلب، نشرحه فنقول: اذا اعتاد الانسان في عبادته حدّاً يكون معه قد بلغ في تزكية نفسه مرتبة الجهاد مع النفس والعبودية، فلا يرى نفسهُ الا عبداً محضاً لربّه، فيقوم بجميع أعماله واقواله بقصد العبادة حتى تغدو هذه الحالة ملكة عنده، فهذه الحالة اذا دعوناها عادة فهي جيدة وممدوحة.

اما اذا اعتاد ممارسة الاعمال العبادية كبقية أعماله الأخرى، بلا قصد أو غاية، فان هذا النوع من العادات مذموم قطعاً، اذ لا يُقصد منها القربة، وانما تؤدّي

---

١). غرر الحكم، ص ١١٩، الحكمة ٣٩٤٧.

بحكم العادة.

كما ان العادات التي تتأصل في النفس في الامور غير العبادية مذمومة أيضاً؛ لأن على السالك أنْ يحرر نفسه من كل قيد، حتىٰ يتمكن من السفر نحو التكامل بسهولة، فكل عادة في ذاتها قيد ومانع امام هذا السفر، كأن يعتاد شرب الشاي يومياً، والا أصيب بصداع في رأسه، أو لابد من ان يدخن سيجاراً والخ.

فجميع هذه العادات موانع كبيرة امام تقدم السالك، ولذلك سوف لا يحظىٰ بنجاح كامل، ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**غيّروا العادات تسهل عليكم الطاعات**»[١].

إن آفة الجهاد مع النفس عادات تسيطر على الروح فتحول دون تزكيتها، بل قد تؤدي الى ظهور الفضائح

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**آفة الرياضة غلبة العادة**»[٢].

وقال أيضاً: «**من لم يهذب نفسه فضحه سوء العادة**»[٣].

ان هذا الأمر المهم الا وهو ترك العادات وتحرير الروح من قيودها، لابد أن يتمّ في المراحل السابقة، وان يتحرر منها تماماً في هذه المرحلة لتكون روحه على استعداد لتقبل العبادة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ذلّلوا أنفسكم بترك العادات**»[٤].

---

١). غرر الحكم، ص ٣٢٢، الحكمة ٧٤٨٢.
٢). غرر الحكم، ص ٢٣٨، الحكمة ٤٧٩٥.
٣). غرر الحكم، ص ٢٤٠، الحكمة ٤٨٥٨.
٤). غرر الحكم، ص ٢٣٨، الحكمة ٤٧٩٧.

القبح الفعلي والفاعلي

على السالك الى الله في مرحلة جهاد النفس ان يلتفت الى تحرره من القبح الفعلي، فيطهر نفسه من جميع الرذائل والخبائث، ويجاهدها كيما يزول القبح الفعلي تلقائياً، فان القبح الفعلي يتعلق بالرذائل التي نشاهدها في اعمال الانسان بقطع النظر عن خصوصياته الروحية، اما القبح الفاعلي فيتعلق بروح الانسان ونفسه بقطع النظر عن خصوصياته الفعلية، اي: هناك فرق بين الانسان المتجرد عن روح الطغيان والتمرد، ولكن تصدر منه بعض الرذائل سهواً وغفلة، وبين الانسان الذي يمتلك نفساً طاغية ومتمردة لا ترعى حرمة لحقوق الله وخلقه.

ولذلك فان مثل هذا الشخص له قابلية المعصية والخيانة مهما كان ظاهره صالحاً وجيداً، ويحاول ان يظهر نفسه طبقاً لما يريده المجتمع والناس انساناً مؤمناً. الا ان الحقيقة على خلاف ذلك؛ لانه في المواطن التي تتأتى له سوف يرتكب الجرائم والذنوب، ولا يسيطر على زمام أمره، فينتهك الحرمات الالهية كحيوان مسعور، دون أي ورع، فيدنس نفسه، ويمنى بالفضيحة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من غلب هواه على عقله، ظهرت عليه الفضائح»[1].

ذات يوم واجهت امرأة لم يكن حجابها بالنحو المطلوب، فنهيتها عن المنكر وحدثتها عن شخصية المرأة والعفاف والحجاب، فقالت: على الانسان ان يكون قلبه طاهراً، فليس الدين والايمان والشخصية الانسانية بالظواهر

---

١). غرر الحكم، ص ٣٠٧، الحكمة ٧٠٤٦.

والحجاب. فقلت لها: ان الإناء بالذي فيه ينضح، فلو كان فيه عطر لفاح شذاه، وان لم يكن فيه سوىٰ القذارات لما كانت رائحته الا نتنة. وهكذا نفس الانسان، لو كانت سالمة انعكس ذلك على مظهرها، والعكس بالعكس، فلا يمكن ان تكون نفسه سالمة وظاهره مريضاً، هذا مضافاً الى ان ظاهر الانسان واعضاءه وجوارحه ما هي الا ترجمان للروح، ولا تصدر في أفعالها و عمالها الا بوحي منها.

وبذلك يتضح ان بين عدم العفاف وسائر الذنوب الأخرىٰ وبين الروح الانسانية علاقة وثيقة، فلا يمكن ان تكون الروح والقلب سالمين بينما الأفعال مريضة، ولحسن الحظ فان تلك المرأة استوعبت القبح الفاعلي (الامراض الروحية) واقتنعت بما قلته لها.

والجدير بالذكر ان روح الانسان كلما تشبثت بالرذائل، وأطال التفكير فيها، فانه سينجّز لارتكابها.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من كثر فكره في المعاصي دعته اليها**»[1].

قال المسيح عيسىٰ بن مريم عليه السلام للحواريين «**إن موسىٰ نبي الله عليه السلام أمركم أن لا تزنوا، وأنا آمركم أن لا تحدثوا أنفسكم بالزنا فضلاً عن أن تزنوا، فإن حدث نفسه بالزنا كان كمن أوقد في بيت مزوّق، فأفسد التزاويق الدخانُ وإن لم يحترق البيت**»[2].

ان الروح المريضة تعدّ الانسان لارتكاب المعصية، ولذلك على السالك

---

١). غرر الحكم، ص ١٨٦، الحكمة ٣٥٤٣.
٢). بحارالانوار، ١٤/٣٣١.

الى الله من خلال مجاهدته العظيمة، ان يكبح جماح نفسه ويقويها، ويجعلها مطيعة لله تبارك وتعالى، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من قوىٰ نفسه تناهىٰ في القوة»[١].

وعلى السالك الى الله في هذه المرحلة ان يسعىٰ لكي تكون جميع اعماله في رضا الله تعالىٰ، ويجتنب كل ما تشتهيه النفس قربة الى الله.

وان يذكر الله دائماً بذكر (يا حي يا قيوم) و(لا اله الا الله) والأذكار الاخرى التي يحددها له استاذه وان ينسىٰ نفسه، كما قال الامام السجاد عليه السلام في مناجاة المريدين: «فقد انقطعت اليك همتي، وانصرفت نحوك رغبتي. فانت لا غيرك مرادي، و لك لا لسواك سهري وسهادي، ولقاؤك قُرَّة عيني، ووصلك مُنىٰ نفسي، واليك شوقي، وفي محبتك ولهي، والى هواك صبابتي، ورضاك بغيتي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبي، وقربك غاية سؤلي، وفي مناجاتك رَوحي وراحتي، وعندك دواء علتي وشفاء غُلَّتي، وبرد لوعتي، وكشف كربتي، فكن أنيسي في وحشتي»[٢].

نجاح سالك

قال سالك: (كنت في مرحلة جهاد النفس وبحمد الله تمكنت من التغلب على جميع أهوائي النفسية، ولكني لم اكن متزوجاً، فكنت في عناء شديد من هذه الناحية، ولم يكن الشيطان ليتركني، الا انه لم يستطع ان يغرني عن ديني، وذات

---

١). غرر الحكم، ص ٢٣٣، الحكمة ٤٦٧٠.
٢). مفاتيح الجنان، مناجاة المريدين.

يوم كنت جالساً في دار استاذي وحيداً، فأخذت ابكي اذ دخل الاستاذ الغرفة فقال: ما يؤذيك؟ وبما أن الاستاذ موجه للسالك و ب عطوف يحفظه اسراره، فقد ذكرت له ما اكابده، فقال الاستاذ: ومن قال ان عليك ان تكافح شهوتك؟ فليس عليك الا ان تسيطر عليها لتحفظ نصف دينك، قال رسول الله ﷺ: «**من تزوج فقد احرز نصف دينه**»[١]، لا أن تسعى للقضاء على شهوتك من خلال الرياضة، فلو لم تكن هناك حكمة في الشهوة لما خلقها الله في وجود الانسان، فعليك ان ترضي رغباتك من الطرق الصحيحة التي أقرها الشارع المقدس، ولكن لا تطع هواك اي لا تقع في الافراط والتفريط، فكما أنك إذا عطشت تطلب الماء لترفع حاجتك اليه، فكذلك عليك ان تختار زوجة لرفع شهوتك وتسكن اليها، فقد قال الرسول الاكرم ﷺ: «**النكاح سنتي فمن رغبت عن سنتي فليس مني**»[٢].

فعلى السالك الى الله ان يتزوج فانه نوع من جهاد النفس.

عن ابي بصير قال: قال رجل لابي جعفر عليه السلام: إني ضعيف العمل قليل الصيام، ولكني أرجو أن لا آكل الا حلالا، قال: فقال له: «**اي الاجتهاد افضل من عفة بطن وفرج**»[٣].

اذن فعليك ان تسعى الى حفظ عفتك بالحلال.

فقلت للاستاذ: بمن اتزوج؟

---

١). بحارالانوار ١٠٠/٢١٩، الحديث ١٤.
٢). بحارالانوار، ١٠٠/٢٢٠، الحديث ٣٣.
٣).اصول الكافي، ٢/٨٠، باب العفة، الحديث ٤.

فقال: لا ينبغي لك ان تفكر في الجمال الظاهري في زوجتك فقط، لان الجمال الحقيقي هو جمال الروح الذي يحصل عن طريق الايمان، قال رسول الله ﷺ: «**لا تنكح المرأة لجمالها ولا لمالها، فلعل ما لها يطغيها، وانكح المرأة لدينها**»[١].

كما لابد ان يكون البيت الذي عاشت فيه زوجتك طاهراً من القذارات والرذائل؛ حتى تضمن لك المستقبل الذي ارادته لك الشريعة المقدسة السمحاء، قال رسول الله ﷺ: «**اياكم وخضراء الدمن، قيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء**»[٢].

ثم نقل الاستاذ هذه الرواية «نزل جبرائيل على النبي ﷺ فقال: يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول: ان الابكار من النساء بمنزلة الثمر على الشجر، فاذا أينع الثمر فلا دواء له الا اجتناؤه، والا أفسدته الشمس وغيرته الريح، وان الابكار اذا أدركن ما يدركن النساء، فلا دواء لهن الا البعول، والا لم يؤمن عليهن الفتنة، فصعد رسول الله ﷺ المنبر، فخطب الناس، ثم أعلمهم ما أمرهم الله به، فقالوا: ممن يا رسول الله؟ فقال: من الاكفاء. فقالوا: ومن الاكفاء؟ فقال: المؤمنون بعضهم أكفّاء بعض، ثم لم ينزل حتى زوج ضباعة بنت زبير بن عبد المطلب لمقداد بن أسود، ثم قال: ايها الناس انما زوجت ابنة عمي المقداد ليتضع النكاح»[٣].

---

١). المحجة البيضاء، ٢/٤٧.
٢). المحجة البيضاء، ٢/٥٢.
٣). عيون اخبار الرضا، ١/٢٨٩، الرواية ٣٧.

ثم قال الاستاذ: يتضح من هذه الرواية ان المؤمن لا ينبغي له ان يتشدد في الزواج، وان عليه ان يتزوج بالكفء، وكفؤك هي المرأة التي تعمل على تزكية نفسها، فان الله سيجعل من حياة مثل هذه النساء و لعوائل التي تسلك الطريق الى الله جنة مصغرة يعيشون فيها بسعادة وهناء.

وبعد هذه النصيحة، اخترت لنفسي زوجة صالحة كانت هي الاخرى تسلك طريق التكامل، فتزوجتها وتغلبت على الشيطان).

قال سالك: سافرت الى إحدىٰ المدن، واقمت في دار أحد الاصدقاء، وفي إحدىٰ الليالي ذهب صديقي مع عائلته الى حفلة كانوا قد دعوا اليها من قبل، فبقيت وحيداً، واذا بي اسمع ضربات على باب الغرفة، ودخلت شابة تصورتها من اقرباء صديقي، فقلت لها: ألم تذهبي مع السيد (ج)؟ فقالت: ولماذا اذهب معه؟ فقلت لها: أو لست من اقربائه؟ فقالت، كلا، انا جارتهم، وقد مررت بالزقاق فوجدت باب الدار مفتوحاً، فناديت اصحاب الدار فلم يجبني أحد فدخلت. فقلت لها: اذا كان لديك عمل فتعالي في صباح الغد؛ لان السيد (ج) ذهب مدعّواً مع عائلته، فقالت: انا اعرفك واعلم انك ضيف هنا، ولكن لو اذنت لي ان اسألك بعض الاسئلة، حتىٰ تجيبني عليها. وبعد أن استوفت اسئلتها، ادركت انها لا تنوي الخروج، فقلت لها: اذا انتهت اسئلتك فاذهبي الى اهلك، فانني بحاجة الى الاستراحة، فقالت: لا استطيع الخروج من هذا البيت، فادركت ما تعنيه، ووجدت نفسي محاطاً بحبائل الشيطان، فاستقبحت ذلك واستولىٰ عليّ فزع شديد، وفي

الوقت ذاته كان هناك من يحاول اقناعي بامكان التحدث الى تلك المرأة والانس معها، فتذرعت بشيء، وخرجت الى غرفة أخرى، وبدأت احاسب نفسي، فاذا بنداء يصك سمعي: لماذا لا تجاهد هوى نفسك، لماذا تهدر جهودك الماضية، أفهل يصح لك ان تختلي بامرأة اجنبية عنك؟ الم تعلم بحرمة الاختلاء بالمحارم؟ الم تعلم ان التحدث الى الاجنبية الذي يؤدي بالانسان الى الانحراف، حرام؟ الم تعلم بان النظر الى المرأة وان كانت محجبة اذا اوجب اللذة فهو حرام وهو من زنى العين؟ لماذا تبدي ضعفاً أمام الشهوات؟ اذا لم تجاهد نفسك الآن فسوف لن تفلح في تزكيتها أبداً، وعليك أن تعلم بان الشهوة بمنزلة الشجرة ذات الجذور التي لابد عليك من قلعها في بدايتها، والا تجذرت وتعسر عليك قلعها، اذن فشمر عن ساعديك من الآن واطلب العون من ربك وجاهد نفسك الأمارة فان الله سيعينك.

وبعد ذلك عدت الى تلك الغرفة وقلت لتلك المرأة: ان اجتماعي بك في هذا المكان من الذنوب الكبيرة، وان مجيئك كان خطأً منذ البداية وخلافاً للأوامر الشرعية، فإن الله ورسوله ﷺ والائمة عليهم السلام وعلى الخصوص امام العصر «عج» روحي فداه ناظر الى اعمالنا، ويسوؤهم ما نحن عليه، فارجوك أن تخرجي بسرعة، فقالت وقد استولى الشيطان على جميع وجودها: ما لم تجبني الى ما اريد فلن اغادر البيت، فوضعت يديّ على رأسي واخذت أردد قول: (يا صاحب الزمان ادركني)، وأسرعت الى خارج البيت هارباً ولم أعقّب، وفي تلك الليلة بذلت عناءً

شديداً في العثور على فندق او ملجأ الوذ به، ولكن دون جدوىٰ، وكان الليل قد انتصف فلم يكن هناك من شخص في الشوارع والازقة ليرشدني الى مأوىً، كان الطقس شديد البرودة وقد أعياني التعب، حتى وصلت الى باب مسجد، فطرقت بابه كثيراً ولكنه لم يفتح، فجلست في واجهته منكمشاً على نفسي من شدة البرد، واخذت اردد (يا حيّ يا قيوم) حتىٰ غلبني النوم، فشاهدت نفسي في عالم الرؤيا واقفاً على جبل كبير يحيط به وادٍ سحيق ومرعب، فجاء شخصان واخذ كل واحد منهما باحدىٰ يديَّ واخذا يتلطفان معي وكأنهما يعرفاني منذ أمد بعيد، وأخذا يطوفان بي حتىٰ بلغا بي شفا الهاوية ينويان قتلي، ولم استطع النجاة والافلات من قبضاتهما المحكمة، فبدأت أتوسل اليهما ليتركاني، فلم يؤثر كلامي فيهما، وكان الذي امسك بيميني يجرني متلطفاً ومشجعاً، بينما الذي امسك بشمالي كان غاضباً نكداً، فضعفت عن مقاومتهما ،وفي هذا الأثناء احسست كأن شخصاً يقول لي: انت قوي ولست بالضعيف فلا تستسلم لهما. وتوسل بامام زمانك كي تنجو، فهتفت: (يا صاحب الزمان ادركني)، فاذا كل شيءٍ يزول ويتحول الى دخان، ورأيت نفسي سالماً وسط جُنينةٍ غنّاء، وسمعت قارئاً للقرآن يتلو هذه الآية: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾**[1].

وفي هذا الاثناء أفقت من نومي فسمعت مؤذن المسجد يتلو بعض آيات القرآن ومنها الآية المتقدمة. فدخلت المسجد وتوضأت وصليت الصبح جماعة

---

١).العنكبوت/٦٩.

في المسجد، ومكثت بعدها فيه حتىٰ بزوغ الشمس، وشكرت الله على انقاذه لي ببركة صاحب الزمان«عج»، وتذوقت حلاوة الايمان والروحانية التي منحها الله لي.

وفي الصباح توجهت الىٰ بيت مضيفي، وفي الطريق أقبلت تلك المرأة نحوي وقد جللها الخجل مما صدر منها في الليلة الماضية، فاعتذرت وطلبت مني ان احفظ ماء وجهها، فقلت لها: سوف اصفح عنك شريطة ان تعديني بان لا تعودي الى مثلها، وان تتوبي الى الله توبة نصوحاً، فأكّدت لي بالايمان المغلّظة ان لا تعود الى سابق عملها، وحينما دخلت دار مضيفي استقبلني وأهله بقلق بالغ، وسألوني عن صحتي؟ ثم قالا: عدنا البارحة آخر الليل، فوجدنا الباب مفتوحاً ولم تكن في البيت والطعام الذي تركناه لك لم يؤكل، فقلقنا عليك، فقلت: دعيت الى بستان فذهبت واستمتعت هناك كثيراً والحمد لله.

وحينما رويت ذلك لاستاذي، قال لي: ان الذي كان يسحبك من يمينك هو نفسك الأمارة، وكانت تعاملك بعطف وحنان، أما الثاني فكان الشيطان الذي كان يهددك ويجرك نحو هاوية الذلّ والهلاك.

* * *

قال سالك: أمرني استاذي حينما بلغت مرحلة جهاد النفس أنْ اذهب الى زيارة القبور لأقرأ الفاتحة على أرواح الشيعة، وافكر في عاقبة أمري، فذهبت الى مقبرة منقطعة، وبعد أن قرأت الفاتحة، شرعت بالتفكير في عاقبة امري، وكأن الموتىٰ كانوا يكلمونني ويدعونني الى مجاهدة نفسي، ويقولون: ألا تعلم ان ملك

الموت واقف على باب دارك، يترقب موعد الدخول عليك ليأخذك كما أخذنا الى المصير المحتوم، ألا تعلم أننا ايضاً نتمنى الرجوع الى الدنيا لكي نعوض ما فاتنا فعله؟ فلو اذن لنا في الرجوع يوماً واحداً بقيمة الدنيا وما فيها لنعوض ما فاتنا لقبلنا، والآن انت من اولئك الموتى الذين يتمنون الرجوع، ولكن فرقك عنهم ان بامكانك الرجوع لتجبر ما فاتك، الا انك تضيع حياتك في الغفلة والبطالة، تحسُّن من ظاهرك وتتأدب في كلامك حتى يمدحك الناس، في حين ان باطنك قد دنسته الرذائل والذنوب الكبيرة والتمرد على الله، تستحي من الناس ولا تستحي من الله، فقد جعلته أهون من خلقه، تعظ الناس وترشدهم الى فعل الخير ولا تتعظ بما تقول، وتتنصل عن فعل الخير، وتذكر الناس بربهم وانت غافل عنه.

وفي هذا الاثناء صرخت باكياً وقلت: أرشدوني، وادركت بعين بصيرتي ان الدنيا لا تستحق ان ينخدع بها شخص وتغره عن ربه، إعلم ان لا أحد يحفل بأعمالك فلا تهدر وقتك، وانفاسك معدودة فكل نفس منك يتقدم بك خطوة الى الامام، فاغتنم صحتك قبل سقمك وراحتك قبل ابتلائك وغناك قبل فقرك، وشبابك قبل هرمك، وحياتك قبل موتك، وخذ لآخرتك ما يكفيك فيها، فكيف تعدّ نفسك لفصل الشتاء من الثياب ووسائل التدفئة، ولا تُعدُّ لبرد آخرتك وحرها شيئاً؟ أم تتصور ان برد الزمهرير وحرارة جهنم أهون وأقل مدة من برد الشتاء وحرارة الصيف، أم تتصور ان بامكان العبد الخلاص من الزمهرير أو جهنم بلا سعي وجد؟ كلا والف كلا، فكما ان برودة الشتاء لا تندفع الا بالثياب الصوفية

ووسائل التدفئة، فكذلك حرارة جهنم وبرودة الزمهرير لا تندفع الا بالتقوىٰ وتزكية النفس بشكل كامل ومجاهدة الاهواء النفسية.

وما على الله إلّا ان يبيّن لك طرق الوصول الى ذلك، وهذا ما قام به مراراً وتكراراً، فلماذا لا تستفيق، ولا تبادر الى الجهاد الاكبر؟

وفي ذلك اليوم كان بكائي من الكثرة حتى سقطت على الارض مَغشيّاً عليّ، وبعد أن افقت عقدت العزم على ممارسة الجهاد الحقيقي والاكبر لكي اكون من الناجين.

ذهبت الى الاستاذ وشرحت له الامر، فقال: اذهب في اليوم القادم ايضاً وبعد قراءة الفاتحة والاخلاص، اقرأ سورة القدر سبع مرات مع زيارة القبور، وفي اليوم التالي اخذت معي كتاب مفاتيح الجنان وامتثلت ما قاله لي استاذي، قال عبد الله بن سنان: قلت للصادق عليه السلام: كيف اسلم على أهل القبور؟ قال: «**نعم، تقول: السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين، انتم لنا فرط ونحن ان شاء الله بكم لاحقون**»[1].

فاذا بي اسمع صوتاً يناديني: حقاً تريد ان تلحق بنا؟ فقلت: أجل، فقد سئمت الحياة واريد ان اتمتع مثلكم بالنعيم الالهي الذي لا ينقطع، فقال: ستلتحق بناء عاجلاً أو آجلاً، فعلام الاستعجال؟ فقلت: ان الحياة زائلة واخشىٰ يوم القيامة ان احاسب على ما ضيعت من عمري، فلا استطيع الجواب، ولذا أفضل الموت

---

١). مفاتيح الجنان، زيارة قبور المؤمنين.

في ساعتي هذه على ان اضيع عمري في المستقبل، فقال: ان كل لحظةٍ من لحظات العمر جوهرة ثمينة لا تقدّر بثمن، وبامكانك ان تستثمر هذه اللحظة وتجعل منها رأس مال لا تنضب أرباحه، ونحن نتمنى أن نعود الى الحياة يوماً واحداً فقط، ونعمل على إرضاء الله سبحانه، ان افضل ما يمكنك ان تفعله هو ان تعلم ان الله قد أعطاك فرصة أخرى، فتصور أنَّ روحك قد فارقت جسدك الظاهري ثم اعادها الله عليك، وتذكر قوله تعالى حكاية عن الموتى: ﴿**رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً في ما تركت**﴾[1].

فاسع الى اصلاح نفسك من الرذائل حتى تستحق الأنس مع الله وأوليائه.

فخرجت من المقبرة ولساني يتحرك تلقائياً بترديد هذه الآية، وكلما ذكرت هذه الآية اقشعر جسدي وغدوت اكثر عزماً على مواصلة جهاد النفس.

---

١). المؤمنون/ ٩٩ ـ ١٠٠.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرحلة العبودية

١ ـ العبودية

٢ – حقيقة العبادة

٣ – ملكة العبودية

٤ – مظاهر أسماء الله

٥ – نجاح سالك

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

العبودية

عبادة الله تعني طاعته، والتذلل اليه مع تقديسه وتنزيه ذاته.

والعبد هو المطيع، وقد ذكر في كتاب مجمع البيان: ان العبد إنما يقال له عبد بسبب ذله وانقياده لمولاه، قال تعالىٰ: **﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾**[1].

وقال تعالىٰ: **﴿واذكر عبدنا أيوب اذ نادىٰ ربه﴾**[2].

وقال أيضاً: **﴿سبحان الذي اسرىٰ بعبده﴾**[3].

وجاء لفظ العبد بمعنىٰ المملوك والمخلوق. كما في قوله تعالىٰ: **﴿والله رؤوف بالعباد﴾**[4] أي بمخلوقاته.

وقال تعالىٰ: **﴿ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً﴾**[5].

---

١). الاسراء/ ٣.
٢). ص/ ٤١.
٣). الاسراء/ ١.
٤). البقرة/ ٢٠٧، آل عمران/ ٣٠.
٥). مريم/ ٩٣.

وليس معنى ﴿آتي الرحمن﴾ هو الاتيان يوم القيامة، وانما هو بيان للنسبة القائمة بين الله ومخلوقاته، اي ان كل ما في السموات والارض يتجه نحو الله وبيد الله مقاليدها وكل ما عندها هو من خالقها.

كما استعمل العبد في الجمادات ايضاً لمكان استعماله في المخلوق والمملوك، قال تعالى: ﴿أنّ الذين تدعون من دون الله عبادٌ امثالكم﴾[١].

وجاء في أقرب الموارد والصحاح: (العبادة الطاعة) ولذلك قال ابراهيم عليه السلام: ﴿يا أبتِ لا تعبد الشيطان﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وعبد الطاغوت﴾[٣].

قال في الصحاح: (أصل العبودية الخضوع والذل).

وفي المفردات: (العبودية هي اظهار التذلل).

والخلاصة ان العبودية تعني الطاعة والتذلل مصحوباً بالتقديس، اي ان العبد يتذلل ويخضع في طاعته لله، وفي الوقت نفسه ينزهه عن جميع النواقص.

لقد خلق الله الانس والجن كي يعبدوه، ولذلك جعلت العبودية غاية للخلق قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾[٤].

وسئل الامام الصادق عليه السلام عن معنى هذه الآية، فقال: «خلقهم ليأمرهم

---

١). الأعراف/ ١٩٤.
٢). مريم/ ٤٤.
٣). المائدة/ ٦٠.
٤). الذاريات/ ٥٦.

بالعبادة»[١].

وقال تعالىٰ: ﴿وما امروا الا ليعبدوا الله﴾[٢].

وفي الحديث القدسي: «خلقتك لاجل عبادتي»[٣].

وبما ان التكامل الروحي والمعنوي لا يمكن حصوله الا عن طريق العبادة التي تتوقف على المعرفة، فقد وقعت العبادة غاية للخلق.

قال الامام الصادقعليه السلام: خرج الحسين بن عليعليه السلام على اصحابه فقال: «ايها الناس، ان الله جل ذكره ما خلق العباد الا ليعرفوه، فاذا عرفوه عبدوه، فاذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه»[٤].

وفي الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»[٥].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «ان اول عبادة الله المعرفة به»[٦].

«وكذلك جاء في بيان أهمية المعرفة أنَّ عيسىٰعليه السلام رأى مكفوفاً مجذوماً مشلولاً يشكر الله ويحمده، فقال له عيسىٰ: على أي شيءٍ تحمده؟ فأجابه: لانه أبرأني من كثير من الامراض الاخرىٰ التي ابتلىٰ بها غيري، فقال له عيسىٰ: ما النعم التي انعم الله بها عليك؟ فقال: ان الله انعم عليَّ بمعرفته، وعندها مسح عليه

---

١). تفسير الصافي، ٧٥/٥.
٢). البينة/ ٥.
٣). جواهر السفينة، ص ٣٦١.
٤). تفسير الصافي، ٧٥/٥، بحارالانوار، ٣١٢/٥، الحديث ١.
٥). بحارالانوار، ١٩٩/٨٤.
٦). بحار الانوار، ٧٦/٧٤.

عيسى عليه السلام بيده، فبريء من جميع الأمراض الظاهرية».

فلم ينظر هذا الرجل الى النعم الظاهرية في الحياة، وذلك لانه اذا امتلك جميع النعم الظاهرية دون معرفة ربه، فكأنه لم يحصل على شيء.

وكلما كانت عبادة السالك الى الله عن وعي ومعرفة، كان قربه من الله اكثر، وكلما كان القرب اكثر زادت المعرفة، وكلما زاد القرب والمعرفة سانخ الله في أسمائه وصفاته، فلا يتغلب عليه هواه، لانه انما يهوىٰ ما يريده منه ربه، ولا يصدر منه من الافعال الا ما فيه رضا محبوبه، فقد جاء في حديث قدسي: «**عبدي اطعني أجعلك مثلي، انا حيّ لا اموت اجعلك حياً لا تموت، وانا أقول للاشياء كوني فتكون، وانت تقول للاشياء كوني فتكون**»[1].

وفي حديث قدسيٍّ آخر: «**ان العبد ليتقرب الى بالنوافل حتى أكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها**»[2].

ولذلك فإن من اكبر الصفات التي يذكرها الله في القرآن لانبيائه واوليائه صفة عبوديتهم، فيناديهم بلفظ (العبد).

وقد لقب الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله نفسه بعبد الله، فكلما اردنا ان نسلم عليه او نشهد على احقيته فلابد لنا من تقديم عبوديته على رسالته كما نقول في تشهد الصلاة: (اشهد ان محمداً عبده ورسوله).

والوجه في تقديم العبودية على الرسالة في جميع مواضع اقترانهما، هو أن

---

١). جواهر السفينة، ص ٣١٦.
٢). جواهر السفينة، ص ١٢٠.

مقام العبودية اخص من مقام الرسالة ومقدم عليه، لان العبد هو الذي يكون في خدمة مولاه في جميع الحالات.

عن الحسن الصيقل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول مرت امرأة بذية برسول الله صلى الله عليه وآله وهو يأكل وهو جالس على الحضيض فقالت: يا محمد إنك لتأكل أكل العبد وتجلس جلوسه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إني عبد وأيُّ عبد أعبد مني....**»[1].

حقيقة العبادة

«ذكر العلامة المجلسي تحت عنوان (البصري) أنه قال شيخ كبير قد أتى عليه أربع وتسعون سنة، قال: كنت أختلف الى مالك بن أنس سنين، فلما قدم جعفر الصادق عليه السلام المدينة اختلفت اليه وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك، فقال لي يوماً: اني رجل مطلوب، ومع ذلك لي اوراد في كل ساعة من آناء الليل والنهار، فلا تشغلني عن وردي، وخذ عن مالك واختلف اليه كما كنت تختلف اليه، فاغتممت من ذلك وخرجت من عنده، وقلت في نفسي: لو تفرّسَ فيَّ خيراً لما زجرني عن الاختلاف اليه والأخذ عنه، فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلمت عليه، ثم رجعت من الغد الى الروضة، وصليت فيها ركعتين وقلت: أسألك يا الله يا الله ان تعطف عليَّ قلب جعفر وترزقني من علمه ما أهتدي به الى

---

١). الكافي، ٢٧١/٦، الحديث ٢.

صراطك المستقيم، ورجعت الى داري مغتماً، ولم أختلف إلى مالك بن أنس؛ لما أُشرب قلبي من حب جعفر، فما خرجت من داري الا الى الصلاة المكتوبة حتىٰ عيل صبري، فلما ضاق صدري، تنعلت وترديت وقصدت جعفراً، وكان بعدما صليت العصر، فلما حضرت باب داره استأذنت عليه، فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟ فقلت: السلام على الشريف: فقال: هو قائم في مصلّاه، فجلست بحذاء بابه فما لبثت الا يسيراً اذ خرج خادم فقال: ادخل على بركة الله، فدخلت وسلمت عليه، فردّ السلام، وقال: اجلس غفر الله لك، فجلست، فأطرق مليّاً، ثم رفع رأسه وقال: أبو من؟ قلت: ابو عبدالله، قال: ثبّت الله كنيتك ووفقك يا أبا عبدالله، ما مسألتك؟ فقلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيراً، ثم رفع رأسه، ثم قال: ما مسألتك؟ فقلت: سألت الله ان يعطف قلبك عليّ، ويرزقني من علمك، وأرجو أن الله تعالىٰ أجابني في الشريف ما سألته.

فقال: يا أبا عبدالله، ليس العلم بالتعلم، انما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالىٰ ان يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك، قلت: يا شريف، فقال: قل: يا أبا عبدالله، قلت: يا أبا عبدالله ما حقيقة العبودية؟ قال: ثلاثة أشياء؛ ان لا يرىٰ العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكاً؛ لان العبيد لا يكون لهم ملك، يرون المال مال الله يضعونه حيث امرهم الله به، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً، وجملة اشتغاله فيما أمره الله تعالى به ونهاه عنه، فاذا لم يرَ العبد لنفسه فيما خوله الله تعالىٰ مُلكاً هوّن عليه

الانفاق فيما أمره الله تعالىٰ ان ينفق فيه، واذا فوّض العبد تدبير نفسه على مدبّره، هان عليه مصائب الدنيا، واذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالىٰ ونهاه لا يتفرغ منهما الى المراء والمباهاة مع الناس. فاذا اكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا وابليس والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً، ولا يطلب ما عند الناس عزّاً وعلوّاً ولا يدع أيامه باطلاً، فهذا أول درجة التقى، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**﴾[1].

قلت: يا أبا عبدالله أوصني، قال: اوصيك بتسعة أشياء؛ فانها وصيتي لمريدي الطريق الى الله تعالى، والله أسأل ان يوفقك لاستعمالها، ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم، فاحفظها واياك والتهاون بها،... اما اللواتي في الرياضة، فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه؛ فانه يورث الحماقة والبله، ولا تأكل الا عند الجوع، واذا اكلت فكل حلالاً وسمّ الله، واذكر حديث الرسول صلى الله عليه وآله: «**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شراً من بطنه**»، فان كان ولابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه، واما اللواتي في الحلم، فمن قال لك: ان قلت واحدة سمعت عشراً، فقل: ان قلت عشراً لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل له: ان كنت صادقاً فيما تقول، فأسأل الله ان يغفر لي، وان كنت كاذباً فيما تقول فالله أسأل ان يغفر لك، ومن وعدك بالخنا فعده بالنصيحة والرعاء، واما اللواتي في العلم، فاسأل

---

١). القصص / ٨٣.

العلماء ما جهلت، واياك ان تسألهم تعنتاً وتجربة، واياك ان تعمل برأيك شيئاً وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد اليه سبيلاً، واهرب من الفتيا هربك من الاسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً، قم عني يا أبا عبدالله فقد نصحت لك، ولا تُفسد عليَّ وردي فإني امرؤٌ ضنين بنفسي، والسلام على من اتبع الهدىٰ»[١].

ملكة العبودية

على السالك في هذه المرحلة ان يوجد في نفسه ملكة العبودية، وقد هيّأ الله تعالىٰ جميع سبل الوصول الى ملكة العبودية لكافة البشر، ولكنهم يظلمون انفسهم فيحرمون النعم الحقيقية.

نقل أمير المؤمنين عليه السلام فقرات من التوراة يحذر فيها الله الانسان ان يحرم نفسه من نعمة العبودية: «**يا ابن آدم خلقت الاشياء كلها لأجلك، وخلقتك لاجل عبادتي، فلا تهمل ما خلقتك لأجله لما خلقته لأجلك، يا ابن آدم كل شيء يريدك لاجله، وأنا اريدك لاجلك فلا تفرَّ منّي**»[٢].

وجاء في حديث قدسي: «**يا ابن آدم خلقت الاشياء لاجلك وخلقتك لأجلي**»[٣].

ان السالك في مرحلة العبودية لا تبقىٰ له رغبة في الدنيا بل يرىٰ الدنيا

---

١). بحارالانوار، ٢٢٤/١، الباب ٧، الحديث ١٧.
٢). جواهر السفينية، ص ٣٦١.
٣). جواهر السفينة، ٣٦١.

سجناً يريد الخلاص منه «**الدنيا سجن المؤمن**»[١]. ويحل في قلبه نور يسري الى جميع اعضائه وجوارحه، ولذلك فهو يهرب من فعل كل معصية وممّا يستوجب عدم رضا الله وينجذب بشدة نحو الطاعة والعبودية، ويتحلىٰ بكثير من الصفات الروحية الحسنة، ومنها شعوره بالخفة والنشاط في طاعة الله، قال تعالىٰ: ﴿**تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون**﴾[٢].

واذا لم يصل الانسان الى مرحلة العبودية، فلا يخشع قلبه ولا يخضع، بينما تجد القرآن الكريم يصف أولياءَ الله قائلاً: ﴿**ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً**﴾[٣]، ويكونون مصداقاً لهذا الحديث القدسي القائل: «**يا بن آدم إن قمت بين يدي فقم كما يقوم العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، وكن كأنك تراني، فان لم ترني فإني أراك**»، وبذلك يحصلون على الأمن والطمأنينة، وعبر القرآن عن ذلك بـ(الإخبات) فقال: ﴿**وبشّر المخبتين**﴾ أي بشّر الذين بلغوا مرحلة العبودية والاطمئنان الكامل بالسعادة والهناء.

كما بشّر عباده المخلصين في موضع آخر بقوله: ﴿**ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون**﴾[٤].

بل ويستبشرون بنعمة الله وعدم الخوف؛ لانهم خافوه قبل بلوغ مرحلة الصراط المستقيم، فلا خوف عليهم حينما يصلون مرحلة العبودية، قال تعالىٰ:

---

١). الخصال، ١/١٠٨، الحديث ٧٤.
٢). السجدة/ ١٦.
٣). الاسراء/ ١٠٩.
٤). هود/ ٢٣.

﴿الا إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[١].

وقال أيضاً: **﴿سلام قولاً من ربٍّ رحيم﴾**[٢].

أي أمنتم جميع البلايا فلا خوف عليكم بعد الاسلام، وقد دعيتم الى دار السلام: **﴿والله يدعو الى دار السلام﴾**[٣].

وفي رواية ان السالك سيعيش بسلام وهناء في دنياه وآخرته، ويتنعم بنعم الله بما لا يمكن وصفه، فقد ورد في الصحيح عن النبيﷺ انه قال: ان الله يقول: **«اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»**[٤].

وخلاصة القول: ان الشاب الذي يترعرع في عبودية ربه يقع تحت ظل رحمة الله، أي: يعيش في كنف إمام العصر«عج»، ويبلغ الايمان الكامل، فعن النبيﷺ: **«سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل الا ظلّه، الإمام العدل، وشاب نشأ في عبادة الله،...»**[٥].

واذا كان لديه خوف فانما هو خوف من فقدان المحبوب، او عدم إرضائه، وانما يكون حزنه حزناً على فراقه.

ولذلك حينما يبلغ أولياء الله مرحلة العبودية الكاملة يشتد خوفهم من الله،

---

١). يونس/ ٦٢.
٢). يس/ ٥٨.
٣). يونس/ ٢٥.
٤). بحارالانوار، ٩٢/٨.
٥). تفسير مجمع البيان، ٣٨٥/٢.

فلا يغفلون عنه لحظة واحدة ويناجونه ليلاً ونهاراً، فقد ورد في الحديث: «**عجباً للمحب كيف ينام**»[١]، ويتحرقون شوقاً اليه ويطلبون منه العفو والصفح عما قصروا فيه، ومن هنا كانت: «**حسنات الابرار سيئات المقربين**»[٢]؛ فانهم انما يطلبون عفو الله استجلاباً لرضاه وليس خوفاً من جهنم، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فهبني يا الهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك**»[٣].

وقال سيد الشهداء عليه السلام: «**ماذا فقد من وجدك، وماذا وجد من فقدك**»[٤].

وفي كتاب الاختصاص عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: «**ان الله تبارك وتعالى توحّد بملكه، فعرَّف عباده نفسه، ثم فوَّض اليهم أمره واباح لهم جنته، فمن أراد الله أن يطهر قلبه من الجن والانس عرّفه ولايتنا، ومن أراد ان يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا... ثم قال: يا مفضل، والله ما استوجب آدم ان يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه الا بولاية عليّ عليه السلام، وما كلّم الله موسىٰ تكليماً الا بولاية علي عليه السلام، ولا أقام الله عيسى عليه السلام ابن مريم آية للعالمين الا بالخضوع لعلي عليه السلام، ثم قال: أجمل الأمر، ما استأهل خلق من الله النظر اليه الا بالعبودية لنا**»[٥].

ولذلك نقرأ في الزيارة الجامعة: «**فلكم يا أئمتي عبوديتي بعد الله تعالى**

---

١). بحارالانوار، ٦٧/١٦٠.
٢). بحارالانوار، ٢٥/٢٠٥.
٣). مفاتيح الجنان، دعاء كميل.
٤). مفاتيح الجنان، دعاء عرفة.
٥). الاختصاص، ص ٢٥٠.

طوعاً سرمداً»[١].

ان السالك في مرحلة العبودية دائم الاعتصام والتمسك برحمة الله ولا ينفصل عنها طرفة عين، قال تعالى: **﴿واعتصموا بالله هو مولاكم﴾**[٢]، وقال أيضاً: **﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم﴾**[٣]، وقال أيضاً: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾**[٤].

وقد فسرت روايات كثيرة حبل الله بأهل البيت عليهم السلام الذين يتمكن السالك بمعرفتهم والتوسل اليهم من الوصول الى الكمالات الروحية العالية، والسير على الصراط المستقيم.

ولذلك فقد جعل الامام الحسين عليه السلام العبودية متوقفة على معرفة الله، ومعرفة الله متوقفة على معرفة الامام عليه السلام، فقد سأله صحابي: **«يا بن رسول الله، بابي انت وامي فما معرفة الله؟ قال: معرفة اهل كل زمانٍ إمامهم الذي يجب عليهم طاعته»**[٥].

وقد بلغ الامام سيد الشهداء من العبودية والخضوع امام الذات الالهية المقدسة في جميع شؤونه حتى سماه الأئمة عليهم السلام في زياراتهم بقوله: (السلام عليك يا ثار الله)؛ لانه فني في صفات الله بتأثير العبادة، والفناء في الشيء يكسبه

---

١). بحارالانوار، ٢٠٨/٩٩، الزيارة الرابعة عشرة.
٢). الحج/ ٧٨.
٣). آل عمران/ ١٠١.
٤). آل عمران/ ١٠٣.
٥). بحارالانوار، ٣١٢/٥، الحديث ١.

نفس صفات المفني فيه، ولذلك ورد في الحديث: «**العبودية جوهرة كنهها الربوبية**»[١].

وكذلك السالك الى الله، يمكنه في مرحلة العبودية ان يكون مثله ﷺ ومثل اصحابه الاوفياء الذين ذابوا في ذات الحق في مقام العبادة والخضوع، حتى فنوا في صفاته فبلغوا اسمى درجات القرب الى الله تعالى، ولذلك نقرأ في زيارتهم: (السلام عليكم يا أولياء الله وأحبّاءَه).

نقل أرباب المقاتل: «لقد مزح حبيب بن مظاهر الأسدي، فقال له زيد بن حصين الهمداني وكان يقال له سيد القراء: يا أخي ليس هذه بساعة ضحك، قال: فأيُّ موضع أحق من هذا بالسرور، والله ما هو الا ان تميل هذه الطغام بسيوفهم فنعانق الحور العين»[٢].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ان أولياء الله ادركوا حقيقة ان الموت ليس نهاية للحياة، بل هناك حياة ابدية بعد هذه الحياة، ولذلك فانهم لا يهابون الموت، وانما يستقبلونه وكلهم شوق الى لقاء محبوبهم.

ان عدم الخوف من الموت هو المحك لمعرفة أولياء الله، قال تعالى: **﴿ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين﴾**[٣].

كما ان ولي الله راضٍ وقانع بالموت وبجميع ما يقدّره الله له، واذا اصيب

---

١). مصباح الشريعة، ص ٧.
٢). رجال الكشي، ص ٧٩.
٣). الجمعة/ ٦.

ببلاء فانه لا يعده بلاءً بل رحمة الهية، ولذلك فانه يستقبله بفرح وحبور، ويراه موافقاً للحكمة والمصلحة؛ لأنه على يقين بانه لا تحصل أدنى حركة الا باذنه، ويبلغ من العبودية شأواً لا يمكن معه ان يتسرّب عدم الرضا الى سويداء قلبه أبداً، ولذلك نقل ان النبيﷺ لم يستعمل في كلماته (لو) و(اذا)؛ لان فيها شائبة الاعتراض على الله سبحانه وتعالى.

كما بلغ ابراهيمؑ من التسليم لقضاء الله درجة أنه حينما القي في نار نمرود، جاءه جبريل وقال له: (هل لك حاجة؟) فقال ابراهيمؑ: نعم، فقال جبريل: وما هي؟ فقال: ابراهيمؑ: أما اليك فلا، فقال جبريل: ولماذا لا تطلبها من الله؟ فقال ابراهيمؑ: حسبي عن سؤالي علمه بحالي.

وقال رسول اللهﷺ: «**انتم كالمرضى ورب العالمين كالطبيب، فصلاح المرضى فيما يعلمه الطبيب وتدبيره به، لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه، الا فسلموا لله أمره تكونوا من الفائزين**»[1].

يحكى ان مملوكاً كان قد بلغ من العبودية مبلغاً جعله من العتقاء والاحرار، وذلك انه رأي سيده ذات يوم حزيناً، فسأله عن سبب حزنه، فقال له: أنا مدين، وتفكيري في سداد الدين أثقل كاهلي، فقال له المملوك: أو لست تملكني، فيمكنك سداد دينك ببيعي، فقال مالكه: ان ثمنك لا يكفي للوفاء بالدين، فقال المملوك: بلى، قل للمشتري ان فيّ صفة لا يناسبها الا هذا الثمن الا وهي صفة

---

١). مجموعة ورّام، ١١٧/٢.

التسليم والطاعة، فاخذه مولاه الى سوق النخاسة ورفع سعرهُ عشرة اضعاف قيمته، فمضىٰ وقت طويل ولم يشتره احد بهذه القيمة، حتىٰ جاء شخص حكيم، فسأل المالك عن سبب ارتفاع سعر المملوك، فأجابه: لانه يعرف آداب الطاعة والعبودية، فقال الرجل: اذا كان كما تقول، فانه يستحق اكثر مما ذكرت، ثم اشترىٰ الغلام بهذا الشرط والا أعاده، ولكي يختبره امر سائر غلمانه بطرحه أرضاً وضربه بالسياط، فضربوه ضرباً مبرحاً دون ان يعترض أو يشكو من ذلك، وبعدها أمر الرجل بالكفّ عن ضربه، ثم قال له: الا تشعر بالالم؟ فقال: بلى، فقال: الم يكن ضربك بلا سبب؟ فقال: بلى، فقال: اذن فلماذا لم تشكُ أو تعترض؟ فأجابه: لاني عبدٌ وانت سيدي، ولا يليق بالعبد ان يعترض على مولاه، وعليه ان يستسلم لامره، فان انعمت علي فانا عبدك، وان ضربتني فانا عبدك، فيليق بك ان تكون كذلك لمولاك، فقال له: ومن هو مولاي؟ فقال: هو الله، فقال له: حقّاً، انت حرٌ لوجه الله، وساكون عبداً لله.

مظاهر أسماء الله

ان أولياء الله يغدون على أثر كمال العبودية مظاهر لاسماء الله، وهذه القابلية اودعها الله في الفطرة الانسانية، وقد جاء في الحديث القدسي «**عبدي اطعني اجعلك مثلي**»[1].

---

١). جواهر السفينة، ص ٣٦١.

وبذلك كان الانسان افضل الموجودات واشرفها، فان الله عالم، فكذلك للانسان قابلية ان يكون عالماً.

ولكن اين علم المخلوق من علم الخالق؟ فالمراد ان السالك يمكنه على مستوىٰ ظرفيته ان يتصف بصفات الله، ليغدو مظهراً من مظاهر اسمائه وصفاته، كما كان الانبياء والاوصياءﷺ اسماءً وصفات لله تعالىٰ.

وقد جاء في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**ولله الاسماء الحسنىٰ**﴾[1] ان المراد من الاسماء الحسنىٰ هم الأئمة الاطهارﷺ، كما نقرأ في زيارة أمير المؤمنينؑ: (السلام عليك يا اسم الله الرضي).

وجملة القول: إن السالك الى الله يمكنه بطيّ مراحل تزكية النفس واتباع أهل العصمة الاطهار الذين هم اسماء الله، ان يغدو هو ايضاً بنحو جزئي من مظاهر أسماء الله، ويكون وجوده دليلاً على الله، ورؤيته ومجالسته تذكر برب العالمين، فلا ينطق الا حكمة ومعرفة تروي الضامئين الى الحقائق، وتطيب طينتهم حتىٰ لا تملّ الأعين رؤيتهم وان لم يلبسوا الثياب الفاخرة، ولم يتعطروا بانواع العطور.

وقد اشار الامام موسىٰ الكاظمؑ الى هذا العطر المعنوي حين روىٰ عن أبيهؑ قائلاً: سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنب اذا اراد العبد ان يفعله أو الحسنة؟ فقالؑ: ريح الكنيف وريح الطيب سواءٌ؟ قلت: لا، قال: إن العبد اذا همّ

---

١). الاعراف/ ١٨٠.

بالحسنة خرج نفسه طيب الريح... واذا هم بالسيئة خرج نفسه منتن الريح[١].

إن الزينة الحقيقية والجمال الواقعي هو تزيين الروح بالكمالات الروحية التي تحصل عن طريق تزكية النفس، وقد توهم بعض انه مادام الجمال الحقيقي كائناً في الروح، فلا داعي الى اتلاف الوقت في تزيين ظاهره، وهذا التوهم ناشئ من تكاسل الروح وخمولها، الذي هو مرض ورذيلة لابد من علاجها.

فعلىٰ السالك ان يستفيد من النعم وطيبات الرزق في سبيل الله، لان الله خلقها لعباده، قال تعالىٰ: **﴿قل من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾**[٢].

وقال أيضاً: **﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾**[٣].

وقال أيضاً: **﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾**[٤].

فمن خلال التدبر في هذه الآيات يتضح ان الله لم يقض على هذا الشعور فينا، ولم يمنعنا من الاستفادة منه، بل هو صريح في بيان ان هذه النعم انما خلقها الله اولاً وبالذات لعباده الصالحين، وما الآخرون الا متطفلين عليهم ياكلون فضل موائدهم.

وطبعاً حينما يصل السالك الى الله الى مرحلة العبودية ويصير عبداً لله حقيقةً، ويطهر نفسه من التعلقات الدنيوية، سوف لا يخرج عن حدود الاعتدال

---

١). اصول الكافي، ٤٢٩/٢ باب (من يهم بالحسنة أو السيئة)، الحديث ٣.
٢). الاعراف/ ٣٢.
٣). الاعراف/ ٣١.
٤). الكهف/ ٤٦.

في الاستفادة من هذه النعم، عملاً بقوله تعالى: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾**[١].

ان عبد الله لا يخرج امام الناس بمنظر غير لائق يشمئز منه الناس؛ لان ذلك سيؤدي الى إساءَة ظن الناس بالدين وابتعادهم عن الله وتقربهم الى الشيطان، ولذلك قال الامام الصادق عليه السلام: «**ويلك يا عبّاد، من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق، ان الله عز وجل اذا انعم على عبده نعمةً احب ان يراها عليه، ليس بها بأس**»[٢].

عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: «**وقف رجل على باب النبي صلى الله عليه وآله يستأذن عليه، قال فخرج النبي صلى الله عليه وآله فوجد في حجرته ركوة فيها ماء فوقف يسوي لحيته، وينظر إليها فلما رجع داخلاً قالت له عائشة: يا رسول الله أنت سيد ولد آدم ورسول رب العالمين وقفت على الركوة تسوي لحيتك ورأسك؟ قال: يا عائشة ان الله يحب اذا خرج المؤمن الى أخيه أن يتهيأ له وأن يتجمل**»[٣].

قال الامام الصادق عليه السلام: «**اذا انعم الله على عبده بنعمة، احب ان يراها عليه؛ لانه جميل يحب الجمال**»[٤].

وقال أيضاً: «**اني لاكره للرجل ان تكون عليه نعمة من نعم الله فلا يظهرها**»[٥].

---

١). الاعراف/ ٣١.
٢). تفسير البرهان، ١١/٢.
٣). مكارم الاخلاق، ص ٩٦.
٤). الكافي، ٤٣٨/٦، الحديث ٤.
٥). الكافي ٤٣٩/٦، الحديث ٩.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ليتزين أحدكم لاخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي يحب ان يراه في احسن الهيئة**»[١].

وقال أيضاً: «**علمني رسول الله صلى الله عليه وآله اذا لبست ثوباً جديداً ان أقول: الحمد لله الذي كساني من اللباس ما اتجمل به في الناس، اللهم اجعلها ثياب بركة اسعىٰ فيها بمرضاتك واعمر منها مساجدك**»[٢].

* * *

فعلىٰ السالك الى الله، كي يحصل على ملكة العبودية، ان يطوي المراحل المتقدمة بدقة وان يعمل بنصائح استاذه، وان يردد دائماً ذكر (يا معبود) وان يصلي في كل غروب صلاة ولي العصر «عج» ارواحنا فداه، وان يستمد منه العون، وان يتلو القرآن الكريم ويتدبر في آياته.

* * *

كما ان بامكان السالك الى الله في مرحلة العبودية ان يتدبر معاني سورة (الكافرون)؛ لكي يتحلىٰ بروح العبودية فلا يعبد سوىٰ الله.

إنَّ البعض يتصور ان بامكانه بلوغ مقاصده بشكل أفضل فيما لو داهن الاعداء وسالمهم، إلا إن هذا النوع من التسالم وان سلمنا صلاحيته الاجتماعية، الا انه لا يصح بحال بالنسبة الى عبادة الله وحده، فإنه اذا عبد ما سواه ولو بمقدار ضئيل، لاجل اكتساب رضا الاعداء، يعتبر خارجاً عن مقام العبودية، ويمكن اتقان

---

١). الكافي، ٤٣٩/٦، الحديث ١٠، بحارالانوار، ٢٩٨/٧٦، الحديث ٣.
٢). وسائل الشيعة، ٤٩/٥، ٥٨٧٠.

هذا الدرس من خلال قراءة هذه السورة والتدبر في معانيها.

وفد جمع من مشركي قريش على رسول الله ﷺ واقترحوا عليه انك ان اتبعت آلهتنا، اتبعنا دينك والهك، وذلك بأن تؤمن بديننا سنة، فان وجدته حقّاً بقيت عليه معنا، والا عبدنا الهك سنة، فان وجدناه حقّاً بقينا عليه، فقال الرسول ﷺ: هذا ما لا يمكن ان يكون، فانا لا اترك عبادة ربي حتى لحظة واحدة، فقال المشركون: اذا لم يمكنك ذلك فاحترم بعض آلهتنا وسلم عليها في الاقل، فان فعلت اتبعنا دينك، فأصرّ الرسول على موقفه الرافض؛ لانه كان يعلم ان التسليم على آلهتهم يعني الاقرار بها، مع ما في ذلك من التنكر لعبادة الله، مما يزيد المشركين ثباتاً على عبادة أوثانهم، وحينما يئس المشركون من اقناع الرسول، عمدوا الى ايذائه، فنزلت آيات سورة الكافرين: ﴿**قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا انتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين**﴾.

نجاح سالك

قال سالك: اشتركت في الندوات التي كانت تعقد في ليالي الاثنين للسالكين الى الله، فذكر الاستاذ اموراً حول مرحلة العبودية مما شد من عزيمتنا وشوقنا الى العبادة والمعبود، وفي نهاية المجلس قُرأت مناجاة المطيعين بخشوع كامل، وكان الاستاذ يتفوه بكلمات لا تخرج الا من فمِ شخص محض العبادة لله،

ثـم قـال: «اوحىٰ الله عز وجل الى موسىٰ عليه السلام، ان يا موسى أتدري لِمَ اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ فقال: يا رب ولم ذاك؟ قال: فأوحى الله تبارك وتعالىٰ اليه ان يا موسىٰ اني قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم اجد فيهم أحداً أذل لي نفساً منك، يا موسىٰ انك اذا صليت وضعت خدك على التراب»[1]. فهلموا وضعوا وجوهكم امام ربكم على التراب، وكانكم آبقين عادوا الى مولاهم نادمين معترفين بتقصيرهم فوقعوا على قدميه يطلبون العفو، فوضعنا جباهنا على التراب واخذنا نقول: (مولاي العفو، سيدي العفو، مالك رقي العفو).

وفجأة التفت واذا بشخص يأخذ برأسي ويضعه في حجره ويمسح عليه بيده ملاطفاً، ويجفف دموعي، وكلما قلت: سيدي العفو، قال لي: لقد عفوت عنك يا حبيبي.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وعندما سمعت هذه الكلمات جن جنوني، فما اعذب العودة الى احضان المعبود والرب المحبوب، فأعولت وبكيت وذرفت الدموع حتىٰ أُغمي علي.

وبعد ذلك رويت الواقعة لاستاذي، فقال: لقد بلغت مرحلة العبودية.

* * *

قال الاستاذ: ان من الرجال العظام الذين حازوا قصب السبق في مرحلة العبودية وتولّهوا في محبة أهل البيت عليهم السلام المرحوم العلامة الاميني، فقد بلغ مرحلة من تزكية النفس حتىٰ استأهل ان يمدّه اهل البيت بالامدادات الغيبية،

---

١). اصول الكافي، ١٢٣/٢، باب التواضع، الحديث ٧.

وخلف مؤلفات عظيمة في الدفاع عن حريم الاسلام والتشيع، استبصر بسببها الآف الاشخاص ونالوا الهداية والسعادة.

وقد ذكر العلامة الاميني: حينما كنت منشغلاً بتأليف كتاب الغدير، كنت راغباً في قراءة كتاب (الصراط المستقيم) للمرحوم الشيخ زين الدين ابي محمد بن علي بن يونس البياضي العاملي، ولم يكن مطبوعاً آنذاك، وكانت نسخته الخطية عند شخص معروف في النجف، فكنت اتمنى مقابلته لآخذ منه الكتاب استعارةً، وفي ذات يومٍ قبيل الغروب، قصدت حرم أمير المؤمنين، فرأيت ذلك الشخص جالساً في الايوان المطهر يتحدث مع بعض العلماء، فتوجهت اليه، وبعد ان سلمت عليه طلبت منه الكتاب، ولكنه اعتذر من إعارته، فقلت له: اذا لم تتمكن من اعارته لي، جئت الى بيتك لاقرأه عندكم، فلم يقبل، فقلت له: أقرؤه في الدهليز، فلم يقبل، ثم قال لي: مجمل القول انك سوف لا ترى هذا الكتاب أبداً، فتألمت ألماً شديداً، وكأن السماء وقعت علي، لا لانه رفض ان يعطيني الكتاب، بل تأثرت لاجل مظلومية أمير المؤمنين عليه السلام، فتوجهت اليه عليه السلام قائلاً: كم انت مظلوم يا سيدي، فقد ألف شخص من الشيعة كتاباً في ظلامتك، ويريد احد محبيك وشيعتك ان يقرأه، وهو عند أحد شيعتك في وسط بلد شيعي الى جانب حضرتك، ولكنه لا يريد اعطاءه، حقّاً انك مظلوم على مر القرون والتواريخ، وعندها بكيت بكاءً شديداً حتى اهتز جسمي، ثم الهمت ان اذهب الى كربلاء في صباح الغد، وبمجرد ان خطرت على ذهني هذه الفكرة انقطع بكائي واستولى

على شعور بالنشاط، فلم اتمكن من الاستمرار في البكاء، فخرجت من الحرم وقصدت بيتي، وفي صبيحة الغد قلت لاهلي: اعطوني شيئاً من الفطور لاني أريد الذهاب الى كربلاء، فقالوا: ولماذا تذهب في منتصف الاسبوع ولا تنتظر الى ليلة الجمعة؟ فقلت: لديَّ عمل هناك، وتوجهت نحو كربلاء، وقصدت مباشرة حرم الامام الحسين عليه السلام، وفي الحرم صادفت أحد العلماء فأنسَ بي كثيراً واستقبلني بحفاوة، ثم قال: عجيب منك ايها الاميني ان تأتي الى كربلاء في منتصف الاسبوع؟ (إذ كان من دأب العلماء ان يذهبوا الى كربلاء في ليالي الجمعة).

ثم دعاني الى داره ليريني بعض الكتب القديمة التي خلفها والده المرحوم، ولم يستفد منها أحد. فقال لي: اذا كنت تحتاج الى شيءٍ منها فيمكنك ان تأخذه عارية، فوعدته بأن آتية في صباح الغد، ولما حان الموعد وقصدت داره اراني ما ينيف على العشرين كتاباً وكان اول كتاب تناولته نسخة نظيفة ونفيسة لكتاب (الصراط المستقيم)، فاخذت ابكي بكاءً عالياً، فسألني صاحب البيت عن سبب بكائي، فرويت له الحقيقة، فأخذ هو الآخر يبكي، ثم اعطاني الكتاب وعدداً آخر من الكتب أمانة، فبقيت عندي ثلاث سنوات أعدتها اليه بعد ان ارتفعت حاجتي اليها.

(هذه الواقعة نقلها لي استاذي، وحفظتها عنه، ولكني اردت ان اذكرها بحذافيرها، فنقلتها من كتاب (ياد نامهٔ علّامه أميني).

* * *

قال سالك: بعد مضي سنوات طويتها في مراحل تزكية النفس، وصلت الى مرحلة العبودية، فذهبت الى استاذي في جلسة مغلقة، وشرحت له ما بلغته من الكمالات وطلبت منه الزيادة كما يفعل الضمآن، فعلم كطبيب حاذق ضرورة تغيير الدواء، فقال: لابد لك من دواء مخصوص، ثم بعد ان ارشدني الى عدة امور، قال لي: وكن دائم الذكر.

فقلت له: كيف اكون دائم الذكر مع كل هذه المشاغل التي لابد منها لإدارة شؤون الحياة؟! ارجو أن توضح لي ذلك اكثر.

فقال: ليس المراد من ذلك الاذكار اللفظية، وانما اردت من ذلك ان تجعل الله دائماً نصب عينيك، لتنفتح بصيرتك عليه، كما قال جدك أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله معه وفيه وقبله وبعده**»[1].

عن ابي عبدالله عليه السلام: «**جاء حبر الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين: هل رأيت ربّك حين عبدته؟ قال فقال: ويلك ما كنت أعبد ربّاً لم اره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان**»[2].

فعليك ان ترىٰ الله تعالىٰ حاضراً حتىٰ تستغرق في صفاته وعلىٰ الاخص في صفة (الرضا) وعندها ستكون جميع أعمالك مصبوغة بصبغة إلهية، فلا تصدر منك حركة ولا سكون الا في رضا الله ثم قرأ هذه الرواية:

---

١). الكلمات المكنونة، ص ٣.

٢). اصول الكافي، ١/٩٧، باب (في ابطال الرؤية)، الحديث ٦.

قال الامام الصادق عليه السلام: «**من اشد ما فرض الله على خلقه ذكرالله كثيراً، ثم قال: أما لا أعني سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله اكبر وان كان منه، ولكن ذكر الله عند ما أحل وحرم، فإن كان طاعة عمل وان كان معصيتة تركها**»[1].

وبعد هذه الجلسة انشغلت بالعمل طبقاً لاوامر الاستاذ، الا انها كانت في غاية الصعوبة؛ لانني كنت كثيراً ما أغفل فانسىٰ ذكر الله، ولكن بعد التوسل بذاته المقدسة وتعاليم الاستاذ والتمارين الشديدة، تمكنت من رفع الغفلة، فاخذت أرىٰ الله حاضراً في جميع حركاتي وسكناتي. فشعرت بلذات الانس وحلاوة الايمان في قلبي، وانكشف ملكوت الاشياء أمامي، واستمتعت بالنظر اليه، ولا يسعني التوضيح اكثر من ذلك.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

---

١). مستدرك الوسائل، ٥/٢٩١، ٥٨٨٧.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

محتويات الكتاب

الموضوع — الصفحة

تمهيد ٥

تزكية النفس ٩

التقوى ١١

طرق اليقظة ١٥

قيمة العالم العامل ٢٤

لابد من اليقظة ٢٦

مدة مراحل التزكية ٣١

درك الالهامات الرحمانية ٣٣

استاذ تزكية النفس ٣٧

كيف نعثر على استاذنا ٤٠

تحديد الهدف ٤٣

كثرة العبادة ٤٥

▣ مراحل التوبة ٤٧

حقيقة التوبة ٤٩

التوبة النصوح ٥٤

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الموضوع الصفحة

القاء الذنوب على الآخرين ٥٥
طرق قبول التوبة ٥٨
تخطيط لمرحلة التوبة ٦١
نجاح سالك ٦٨
▣ مراحل الاستقامة ٧١
الاستقامة ٧٣
الدعوة الى الصبر والاستقامة ٧٧
الثقة بالنفس ٨١
عدم الخشية الا من الله ٨٥
الامل مع الجدّ والسعي ٩٠
طرق مكافحة اليأس والقنوط ٩١
الايحاء ٩٥
الايحاء والامراض الروحية ٩٧
مخطط للوصول الى الاستقامة ٩٩
نجاح سالك ١٠٣
▣ مرحلة الصراط المستقيم ١٠٥
الصراط المستقيم ١٠٧

الموضوع الصفحة

هل السبيل هو الصراط المستقيم ١١٣
تعديل الغرائز او الافراط والتفريط ١١٥
يجب ان تكون الاعمال والعقائد واقعة على الصراط المستقيم ١٢٢
كلام السالك على الصراط المستقيم ١٢٣
المحاسبة والمراقبة ١٢٦
النظم والانضباط ١٢٩
نجاح سالك ١٣٥
▣ مرحلة المحبة ١٣٩
المحبة ١٤١
تنظيم المحبة ١٤٢
طرق تنظيم المحبة ١٤٦
ضبط المحبة ١٥٢
ازدهار المحبة ١٥٤
آثار المحبة ١٥٩
نجاح سالك ١٦٣
▣ مرحلة جهاد النفس ١٦٧
جهاد النفس ١٦٩

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الموضوع الصفحة

الجهاد الأكبر ١٨٠
ترك العادات ١٨٢
القبح الفعلي والفاعلي ١٨٤
نجاح سالك ١٨٦
▣ **مرحلة العبودية** ١٩٧
العبودية ١٩٩
حقيقة العبادة ٢٠٣
ملكة العبودية ٢٠٦
مظاهر أسماء الله ٢١٣
نجاح سالك ٢١٨
محتويات الكتاب ٢٢٥

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی